المناقب المرزوقية

لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني

(ت 781 هـ)

دراسة وتحقيق

الأستاذة سلوى الزاهري

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الكتـــــاب : المناقب المرزوقية لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني
دراسـةوتحقـيق : الأستاذة سلوى الزاهري
مـنشـــورات : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية
الـطبـعـــــة : الأولى 1429هـ/2008م
الحقـــــوق : © جميع الحقوق محفوظة للوزارة
الـطـبـــــع : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء
الإيـــــداع : 2008 MO 1788
ردمـــــــك : 978-9954-0-5142-2

المناقب المرزوقية

لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني

(ت 781 هـ)

دراسة وتحقيق

الأستاذة سلوى الزاهري

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

التحقيق

باسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد...

يقول عبد الله، محمد بن أحمد، [بن محمد[1]]، ابن مؤلف هذا المجموع، محمد بن أحمد، بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي، غفر الله له ولأسلافه :

وقع إلينا هذا المجموع وقد نقصتْ منه الخطبة، ويشبه أن يكون ما نقص منه حتى يصل بما وجد :

"الحمد لله الذي لا يزلّ من لاذَ بعزّه المنيع، ولا يضلّ مدى الأبد من اتبع هداه ولا يضيع، ولا يُهان من أمّ باب كرمه بلا حاجب دونه ولا شفيع، أحمدهُ وهو سبحانه لمن حمده سميع، وأشكرهُ ولست لشكر أدنى نعمه بمستطيع، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بديع السموات والأرض، تعالى الله من بديع، رفيع الدرجات، ذو العرش سبحانه ما أجلّه من رفيع، وأشهد أن محمداً، صلى الله عليه وسلّم، عبده ورسوله الرحمة للأبيّ والمطيع، صاحب المقام الأسنى، والمنصب الأسمى، والجناب الفسيح، والفناء الوسيع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأكرم به وبهم من هاد وتبيع، صلاة وسلاماً دائمين ما تدب في الآذان بالترجيع، وأبان لسان التبيين عن حر أبي وقلب سجيع".

وبعد، فإني لما ابتليتُ، والحمد لله على كل حال، بهذا الظهور الدنيوي الذي لم يصل إلى نوعه من عاصرني من صنفي من الرجال، حتى لقد ارتقيتُ خمسين

---

(1) كذا في النسختين. ويبدو أن [بن محمد] الموضوعة بين معقوفتين، زائدة. لأن المقصود هو ابن مرزوق الحفيد، المتوفى سنة 842 هـ/1439م. وهو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن مرزوق الخطيب. (انظر : أبو الحسن على القلصادي الأندلسي، **رحلة القلصادي**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، تونس، 1985، ص 96 ؛ ابن مريم التلمسان، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، 200 ؛ **نيل الابتهاج**، 499 ؛ **الضوء اللامع**، 50/7 ؛ **ثبت الوادي آشي**، 293 ؛ برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأجفان، بيروت، 1982، 134، ابن مرزوق، "**المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**"، تحقيق د. مارية خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1982، 54، والمصادر المثبتة في الهامش 2).

منبراً من حواضر الإسلام[2]، على ما هو معلوم عند أهل العصر من الخاص والعام، ثم انتقلتُ إلى ما لا بُدّ منه بحسب العادة المظهرة في صدق الخبر الصحيح من الاستفال بعد العلوّ، والهبوط بعد الطلوع، والبُعد بعد الدنُوّ، فحلَّت النكبة، والشكر لذي الجلال، ولولا تأخير الأجل بسابق المقدور لخلت مني الخلال، فتقبضت النفوس بعد كمال الهشاشة، وتبهشرت الوجوه بعد طلاقة البشاشة، وحضر هلاكي لولا منّ الله مولاي بلطفه الجميل، وإياه أسأل أن يرزقني باقي عمري الانقطاع إليه في كل سبيل، وكان لي سلف صالح متجرد لطريق الآخرة، ومُرتفع بهمته الكبيرة عن زينة الدنيا الدنيّة الفانية، كما أنه كان لي قبل التوغل في هذا المقام، الذي سبق القضاء الذي لا محيد عنه ولا انفصام، الانقطاع لخدمة الكتاب والسنة، وكثير من العلوم الشرعية، ولله جلّ ثناؤه المنة، ولا شك أن ببركة هاذين الأمرين اللذيْن هما من فضل الله عليّ، كان الخلاص، وبهما أرجو أن يكون لي في باقي عمري، بفضل الله، إلى خدمة المناص، وخفتُ أن أنظر إلى حاشيتي إلى موتي لما تلوثت به من الدنيا بعين الاحتقار، رأيت أن أثبت في هذا المجموع سيرة من سلف لي من الصالحين، على الاختصار، لينزاح[3] الاحتقار بالاعتبار، ويحتموا له نظراً إلى أصل هذا المنبع، وينظر إليهم بذلك المهْيع، لما جاء أن الصالحَ يحفظ في ولده إلى سبعٍ، وما أذكره من سيرة هذا السلف المبارك، وما تقرر لهم من السنن معروف عند الأكابر من أهل الوطن، العارفون بأخبار الناس، الباحثون عن مناقب أهل الفضل، المغضّون عن حفظ عثرات أهل الزلل، ورزقتُ أبناء صغاراً، لا يعرفون ولا يُعرفون، ولا يألفون ولا يُولفون، ورأيتهم أنهم إنما عرفوا بما عرفتُ به من الظهور الدنيوي، وفي الذي تنقطع المعرفة بانقطاعه، تأكد عندي أن أثبتَ لهم من ذلك ما يعرفون به من سلف لهم. واقتديتُ في ذلك بفعل جماعةٍ من

(2) نفس المعطيات يوردها ابن مرزوق بتفصيل في **المسند** (ص 487) مع تدقيق أنه ارتقى "أحدا **وخمسين** منبرا في بلاد شتى من أقصى المغرب ووسطه وعدوة الأندلس والزاب وإفريقية، فما من قاعدة وحضرة ملك في هذه البلاد إلا وعلوت على منبرها". ولما ثقفه الوزير عمر بن عبد الله بفاس كتب ابن مرزوق كلاما من جملته : "أفلا يُراعي لي ثمانية وأربعين منبرا في الإسلام شرقا وغربا وأندلسا ؟" (**البستان**، ص 187، وورد كذلك في **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، م. س.، ج 91/2، وفي **نيل الابتهاج**، ص 453).

(3) أ : ليُزاح

أئمتنا، رضي الله عنهم، كابن خليل[4]، والقاضي أبي عبد الله[5]، ابن القاضي أبي الفضل عياض[6] ؛ وابن عبد البر[7]، وشيخنا القاضي أبي البركات، ابن الْحاج[8]، وأمثالهم ؛ وإن كنتُ لست في طبقتهم، ولا من سلف لي كمن سلف لهم.

---

(4) لعله محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عمر المالقي ثم المكّي المشهور **بخليل** المالكي. إمام المالكية بالحرم الشريف. اتخذ مكة دار إقامته وقلّ ما ترد على المدينة قافلة إلا وهو معهم، كان يواسي الفقراء ويتداين لأجلهم. توفي سنة 760 هـ/ 1359م. يصفه ابن مرزوق بالإمام العلامة، ويضعه في مرتبة والده. (سيرد ذكره لاحقا). وانظر كذلك : **المسند**، ص 483-484 ؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، 388/1 ؛ **أزهار الرياض**، 74/5 ؛ **نفح الطيب**، 534/2 ؛ **شجرة النور**، 222).

(5) أبو عبد الله بن أبي الفضل **عياض** : محمد بن عياض بن موسى اليحصبي السبتي أبو عبد الله، قاضي كأبيه من أهل سبتة دخل الأندلس، وتوفي بغرناطة سنة 575 هـ/ 1179 م. وقد خصص كتابا لسيرة والده، وقد حققه الدكتور محمد بن شريفة وأصدره بعنوان "**التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد**"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة (د. ت).

(6) عياض بن موسى اليحصبي السبتي. (ت. 544 هـ)، عالم المغرب. ترجمته مفصله تجدها في : **التعريف بالقاضي عياض**، م. س،.. وانظر كذلك : **قلائد العقيان**، 2555-258 ؛ **بغية الملتمس**، رقم 1269 ؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج 694/2 ؛ **وفيات الأعيان**، 483/3-485 ؛ **الإحاطة**، 230/222/4 ؛ **أزهار الرياض** (بجميع أجزائه)؛ **جذوة الاقتباس**، 498/2-499 ؛ حسن الوراكلي، **أبو الفضل القاضي عياض السبتي (ثبت ببليوغرافي)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994.

(7) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي. فقيه حافظ عالم بالقراءات والخلاف الفقهي وعالم بالحديث ورجاله. كثير الشيوخ. أخذ عنه جلة. تآليفه كثيرة منها : **التمهيد** لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، **والاستذكار** لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، **والاستيعاب**، **والكافي**، **والدرر في اختصار المغازي والسير**، **والعقل والعقلاء** وغيره. توفي سنة 463 هـ/1070م انظر ترجمته في : **جذوة المقتبس**، 586/2 ؛ **المدارك**، 808/3 - 27/8 ؛ **الصلة** لابن بشكوال، 641/2 ؛ **وفيات الأعيان**، 348/2 ؛ المغرب في حلى المغرب، 407/2).

ولا نعرف الكتاب المشار إليه في المتن. ولعله "تأليف في أصول أنساب الأمم من العرب والعجم" المشهور بالقصد الأمم. وتوجد نسخة منه بخزانة الإمام عبد الجبار الفكيكي، (ذ : بنعلي محمد بن بوزيان، "**من نوادر المخطوطات بخزانة الإمام عبد الجبار الفكيكي**"، دعوة الحق، عدد 260، نونبر 1986،ص 66).

(8) **أبو البركات**، محمد بن محمد بن إبراهيم، بن محمد بن أبي إسحاق ابن الحاج السلمي، البلفيقي الأصل. ألمَري النشأة والولادة والسلف: الإمام العلامة قاضي الجماعة بحضرة غرناطة، الصالح الزاهد. رحل إلى بجاية ثم عاد فقعد بمجلس الإقراء من مالقة ثم رحل إلى فاس ثم عاد إلى الأندلس واستقر ببلده ألمرية فقعد بمسجدها الجامع، حتى وفاته سنة 771 هـ/1369م. له "الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح" و"**ما اتفق لأبي البركات، فيما يشبه الكرامات**" وغيرها من المؤلفات.(انظر : الإحاطة 148/2 ؛ **رياض الورد...**، تحقيق د. جعفر ابن الحاج السلمي، ج 1، دمشق، 1993، ص 137-174 والمصادر المذكورة هناك).

وكان بعض أصحابنا قد تعرض لهذا الغرض، فصنّف فيه، لكنه لم يحصل بيدي منه شئ، كالفقيه الصالح، أبي الحسن علي بن عبد الواحد المسيلي، والفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن حسن بن هنيّة، والفقيه يعقوب البرشَكي[9]. وذكر القاضي الخطيب أبو علي منصور[10]، بن الفقيه القاضي أبي عبد الله، بن هديّة القرشي[11] أنه جمع شيئاً من ذلك، ولو حصل بيدي شيء من هذا لكفاني عن التعرض لذلك.

ومن الله أسأل، بنور وجهه الكريم، وحرمة مولانا محمد، الرؤوف الرحيم، ذي الخلق العظيم، أن يمنّ[12] عليّ من بركاتهم، ويشفعهم في، ويخلّصني من الامتحان وتقلبات الزّمان، وأن يردّني إليه ردّاً جميلاً، وأن يستعملني فيما بقي من عمري في خدمته، وأن يشملني حياً وميتاً برحمته، وأن ييسّر عليّ الانتقال إلى حَرمه، وحرم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بفضله ومنّه[13]، إنه جواد كريم.

(9) لم نقف على ترجمته. ويبدو أنه ينتسب إلى مدينة برشك التي كانت تقع على شاطىء البحر بين شرشل وتنس ولم يبق لها أي أثر الآن، وهي مسقط رأس الفقيهين العالمين أبي زيد عبد الرحان وأبي موسى ابني الإمام.

(10) أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي، يقول عنه ابن مرزوق في ترجمته الآتية أنه "أحد قضاة العدل وأئمة اللسان والأدب ونفوذ الأحكام ونفوذ بالوثائق"، ونفس الأوصاف، بنفس العبارات يطلقها عليه معاصره يحيى ابن خلدون، الذي يضيف قائلا : "وله تواليف جمة في فنون شتى". ولكن هذه التواليف تعد في عداد المفقود، ومنها كتاب بعنوان "**تاريخ تلمسان**" لا نعرف عنه شيئاً. ورد منسوبا إليه في "كاتالوغ" مخطوطات مكتبة برلين. ويقول عنه أحد المهتمين بتاريخ الجزائر الثقافي: " عندما راسلناهم في شأنه أجابنا أصحاب المكتبة بأن واضع الكاتالوغ قد يكون فقط اطلع عليه، ولكنهم الآن لا يملكون شيئا من ذلك" (د. أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 283-284. وقد أفادني – مشكورا – الأستاذ المطلع، عبد العزيز الساوري، أنه عثر مؤخرا على كتابين له، الأول بعنوان "**مشرع الخاتم على مشروع الخاتم**" (مخطوط بالأسكوريال، بدأ تأليفه أبو عبد الله، ولما اخترمته المنية أكمله ابنه أبو علي)، والثاني بعنوان "**العِلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس**"، يعكف على تحقيقه محمد علال سيناصر، عضو أكاديمية المملكة المغربية، وسيصدر عن دار الغرب الإسلامي) .ترجمة أبي عبد الله بن هدية، انظرها في : **بغية الرواد**، 116 ؛ **تعريف الخلف**، 561 ؛ **البستان**، 225 ؛ **نفح الطيب**، ج 234/5 ؛ **أزهار الرياض**، ج 48/5-49).

(11) أبو علي منصور بن محمد بن منصور بن علي بن هدية. ولي قضاء تلمسان بعد أبيه الفقيه أبو عبد الله بن هدية المتوفى أواسط سنة 735 هـ، وتولى الخطابة بالجامع الأعظم من أجدير : **بغية الرواد**، 116-117 ؛ الإحاطة، ج 289/1 ؛ **نفح الطيب**، 234/5 ؛ **أزهار الرياض**، ج 48/5-49).

(12) في ب : يمنن.

(13) ب : ومننه.

ورأيت، بحول الله، أن أصل بذكر الجدّ، رحمه الله، من عاصره وعاشره من صلحاء وقته، وعلماء زمانه، على سبيل الاختصار، وكذلك لمولاي الوالد، رحمه الله، ذكراً جُملياً، لأن معرفة المواليد والوفيات، وتعيين الأشياخ وغير ذلك مما يجب ذكره، لم أجد لمعرفة ذلك سبيلاً، لما أنا عليه من الثقاف، ومفارقة ما كسبته من الكتب وكتبته، ومفارقة جميع الأهل وذهاب سائر ما ملكته، وأنا في حالة لا يعلمها إلا من قضاها، ولا يكشفها إلا خالق الخليقة ومولاها، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا هو، ولا معبود سواه، ورتّبتهُ على فصول.

فصل
[في النسبة والقبيل الذي يرجع إليه]

أما النسبة : محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر، ابن مرزوق، بالقاف يكتبه والدي، رحمه الله تعالى. وجدّه محمد ووالده وأبو بكر، بالجيم، لأنهم ينطقون بهذا الحرف بين الجيم والقاف، لغة العرب الآن في القاف. ورأيت هذا الحرف بخط بعض عدول أهل بلدنا القدماء بالكاف[14]، وهذا هو الجاري على لسان الشيوخ من أهل بلدنا، وهكذا ينطقون بهذا الإسم بوادي أهل تلمسان من زناتة، وغيرهم في كل من تسمى بهذا الإسم.

وأما النسب، فرأيت بخط جدي الأقرب، نفع الله به : العجيسي. وكذلك في رسوم قديمة، لا شك عندنا في ذلك. وعجيسة قبيلةٌ من زناتة، معروف مكانها منها[15]. وهم متفرقون في بلاد المغرب، من أقصى بلاد افريقية إلى أقصى بلاد المغرب، وبالأندلس منهم جماعة. وقد ذكرهم ورفع نسبهم لقيس لجماعة[16] منهم. وهكذا كان يكتب ابن عمنا، الفقيه الكاتب، أبو محمد التلمساني[17]، وكان أحد الكتاب الكبار بمدينة تونس، حاطها الله تعالى ؛ كتب عن الدباغ[18]، ثم ناب عنه في الحجابة، فكان يكتب : القيسي. وكان والدي، رحمه الله، يعتبه على ذلك. وسيأتي ذكره، إن شاء الله، عز وجل.

(14) في ب : بالقاف.

(15) **عجيسة** : قبيلة بربرية استقرت أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) جنوب بجاية في ضواحي قلعة بني حماد. ويقوا ابن خلدون أن مدلول هذا الإسم : البطن، فإن البربر يسمون البطن بلغتهم "عدّس" فلما عربتها العرب قلبت دالها جيما مخففة، وكان لهم بين البربر كثرة وظهور، وكانوا مجاورين في بطونهم لصنهاجة وفي القبائل بالمغرب كثير من عجيسة، هؤلاء مفترقون فيهم (**العبر**، 145/6).

G. Marçais, *Les Arabes en Berbérie*, Paris, 1913, p. 285.

(16) كذا في النسختين.

(17) توفي بتونس في حدود سنة 722 هـ كما سيذكر ابن مرزوق لاحقا.

(18) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم **بن الدباغ** : تقلد الحجابة سنة 697 هـ/1297م لدى السلطان الحفصي أبي عصيدة. (انظر : الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق الحسين اليعقوبي، المكتبة العيقة، تونس، 1998، ص، 121، 118).

فصل

وأما ما بعد مرزوق، فلم أتلقه من والدي، ولا من عمّي[19]، رحمه الله تعالى، وإنما وقفت على شئ منه بظهر كتاب، لم أنقله لعدم الوثوق به. والذي تحققتُه من والدي، ومن عمّي، ومن خاصة والده، الشيخ الصالح، الثقة الصدوق، الصوفي المؤرخ المتبتل، أبي العباس، أحمد بن إبراهيم، المعروف بابن القطان[20]، رحمه الله تعالى، وغيرهم، أنهم لم يتلقوا من جدي الأقرب إلا مرزوق ابن الحاج، هذا هو المحقق عندنا. وتلقيتُ منهم أن مرزوقـ[ـاً] هذا ورد على تلمسان مع أخويْه شقيقيْه، خُلوف، بضم الخاء المعجمة واللام ؛ ومعافى، من مدينة القيروان[21]. وكانت مواطنهم وأملاكهم بجبل بظاهر القيروان، يسمى بـ"ويسلات[22]. وكان ورودهم على تلمسان أيام حصران لمتونة لها[23]، خرجوا

(19) هو الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق، الشيخ بالعباد، أمه فاطمة بنت الشيخ أبي زيد عبد الرحمان ابن النجار. وقد تزوج ست الملوك بنت الهواري، وكانت قبله تحت السلطان أبي حمو موسى بن عثمان حسبما يشير ابن مرزوق لاحقا. وقد ورد ذكره في "**المسند**"، ص 463.

(20) لم أقف على ترجمته. ومن خلال ما يورده ابن مرزوق في هذا التقييد يتضح أن ابن القطان كان في شبيبته ضعيفا محتاجا، لأنّ والده توفي وخلفه صغيراً، فنفذ ما ترك له، وبقي يتسبب بالخياطة، وبالسفر. وتزوج بنت أبي عامر. وكان أبو عامر هذا من الأولياء الصلحاء الخطباء. وكانت بينها وبين ابن القطان قرابة من جهة الأم. وقد تحرف بالتجارة عملا بنصيحة أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق. وقد سكن ابن القطان في دار متصلة بدار ابن مرزوق، وهو الذي ربى والده، واختص بخدمة جده لأبيه وجده لأمه، وقد حج بيت الله الحرام.

(21) هاجرت عائلة مرزوق من القيروان أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على عهد المرابطين، عقب نزول عرب بني هلال بها. (ابن مرزوق، **المسند**، م.س.، ص 15 ؛ يحيى ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج 1، تحقيق د. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1980، ص 114).

(22) **جبل وسلات**. أسيلاطوم عند الرومان، وممطور عند العرب. (يسمى أسلات حاليا): جبل يوجد على بعد اثني عشر ميلا من مدينة القيروان فيه عدة عيون، منه كان يجلب ماء الشرب إلى القيروان (الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، ص 90 والهامش).

(23) زحف جيش الأمير يوسف بن تاشفين على تلمسان سنة 468 هـ، وكان تحت قيادة الأمير مزدلي اللمتوني (ابن عم السلطان). وكان أمير تلمسان يومئذ العباس بن يحيى المغراوي أمير زناتة. ويؤكد ابن عذاري أن القائد المرابطي دخل تلمسان "في مهلة وحال هدنة" (انظر : **البيان المغرب**، ج 4، ص 29).

من القيروان لمزعج أزعجهم[24]، فاستوطنوا تلمسان، وبنوا بها حين بنى الناس بالبلد العليا، محاصرين لتلمسان القدمى[25]، وكانوا حجاجاً يعرفون بأولاد الحاج.

فأما معافى فلم يعقب، وأما خلوف فآخر عقبه الفقيه الكاتب أبو محمد التلمساني المذكور قبل، وكانت وفاته بتونس، في حدود اثنين وعشرين وسبعمائة. فإنا لما وردنا تونس سنة أربع وعشرين صحبة والدي، رحمه الله، اجتمع إليه جماعة من أصحابه التونسيين المستوطنين بها، وأثبتوا له تعصيبة، وكان قد خلف داراً بسويقة الجرو[26]، ولها باب آخر لشارع لبرّ الروم، وجناناً كبيراً بالمنهلة، بجانب جنان الدباغ[27] وكتبا وناضاً[28] وجواري، وغير ذلك. فامتنع والدي، رحمه الله، منه، وتورع عن أخذه، والحديث فيه. ردّنا الله، فيما بقى من عمرنا إليه، ومع ذلك لم أحصل منه على طائل.

وأما بنو الصبان المستوطنين برباط أسفي، فلا أحقق لمن ينتمون من أبناء خلوف. إلا أن عمي، رحمه الله تعالى، أخبرني أنهم يجتمعون معنا في النسب، ويغلب ظني أنه قال لي، من جهة خلوف. وهم يذكرون أنهم يجتمعون معنا في مرزوق، والله أعلم. وهم ثقة[29] وديانة وأمانة، لا ينقلون إلا ما يثبت ويتحقق.

فصل

أما مرزوق، رحمه الله تعالى، فكان مشتغلا بالبادية بفلاحته وحراثته، وابتنى داراً بتلمسان، بالموضع المسمى بمرسى الطلبة، وسيأتي، إن شاء الله، ذكره. وكان بدوياً مقبلاً على شأنه، نفعه الله.

---

(24) لعل ذلك مرتبط بزحف قبائل بني هلال على القيروان (**المسند**، ص 15).

(25) بعد سيطرة المرابطين على تلمسان، بنى يوسف بن تاشفين مدينة جديدة في غربها، واتخذها مقرا لحاشيته، وأطلق عليها اسم "تاكرارت" أو "تاجرارت"ز، وتعني المحلة أو المعسكر بلسان صنهاجة (**بغية الرواد**، ص 91-170) وسميت أيضا بتلمسان **الحديثة**، أو العليا (**نظم الدر والعقيان**، ص 125).

(26) **سويقة الجرو** : سقاية أنشأها السلطان أبو الحسن في مدينة تلمسان.

(27) في أ : بجانب الدباغ.

(28) الناض : النقود العينية.

(29) كذا في النسختين. والأضبط أن يقال : وهم أهل ثقة.

وأما ولده محمد، المكنى بأبي بكر، الذي غلبت كنيته على اسمه، فكان متردداً إلى بيت الله الحرام، وبهذا كان مشتهراً ومحترفاً، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي[30]. وكان مشهوراً بالخير، مقصوداً بالدعاء، رحمة الله عليه.

وأما ولده أبو عبد الله الأكبر، فكان قد اشتغل بالقراءة، وغلب عليه علوم القرآن. وكان مصحفيا، يكتب المصاحف التي كان الناس يتنافسون فيها على طريقة أهل الأندلس . وأدركت منها ربعةً أربعة أرباع، غاية في الحسن، خطاً وضبطاً، لا تبعد من خط الغَطُّوسيّات[31]، قد كتب فيها اسمه، ضاعت في دخلة تلمسان، سنة سبْع وثلاثين وسبْعمائة[32]. وكان مع ذلك تاجراً، وبها يتمعَّش. وكانت له في حداثته حانوت بالقيسارية ينسخ فيها القرآن، ويبيع السلع. ورأيت تخططه في رسوم قديمةٍ بالفقيه الأمين ؛ وفي بعضها، بالأمين الصالح، وأشك في حجّه. وتوفي بتلمسان، وقبره بالمقبرة المعروفة بمسند صالح، تحت الباب المعروفة بباب زيري، عن يمين المار بتلمسان القدمى، حيث قبر أبيه وجده، رحمة الله عليهم.

---

(30) من أعلام القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد، ولم أهتد إلى تاريخ وفاته بالضبط.

(31) **الخط الغطوسي** : خط اشتهرت به أسرة ابن غطوس الأندلسية، وإليها ينسب، واستعمل في كتابة المصاحيف خاصة، وقد اعتبره صاحب "**فرحة الأنفس**" من فضائل أهل الأندلس. ويقول عنه ابن سعيد الأندلسي، وقد رآه في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الأندلس أنه "حسن فائق، ورونق آخذ بالعقل، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد" (**نفح الطيب**، ج 151/3 وممن اشتهر من أسرة ابن غطوس ببراعة الخط، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن مفرج بن سهل الأنصاري ابن غطوس (توفي في حدود 610 هـ)، الذي "شاع عنه أنه نسخ من كتاب الله عز وجل ألف نسخة.... وتنافس الناس على طبقاتهم : الملوك فمن دونهم فيما يوجد من خطه"، وخلف في ذلك أباه وأخاه... (**الذيل والتكملة**، السفر 6، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1973، ص 314-315). وقد رأى الصفدي لابن غطوس أكثر من مصحف، وقال إنها "شيء غريب في حسن الوضع ورعاية الرسوم، ولكل ضبط لون من الألوان لا يُخلّ به : فاللازورد للشدّات والجزمات، واللّكّ للضمات وللفتحات والكسرات، والأخضر للهمزات المكسورات، والأصفر للهمزات المفتوحات" (الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 351/3-352) ؛ وانظر مقال الدكتور محمد بن شريفة، "**نظرة حول الخط الأندلسي**"، ضمن كتاب : المخطوط العربي وعلم المخطوطات، تنسيق أحمد شوقي بنبين، فضالة، المحمدية، 1994، ص 82-83.

(32) هي سنة اقتحام جيش السلطان أبي الحسن المريني لمدينة تلمسان، عاصمة الزيانيين. وكان ذلك يوم الأربعاء 28 رمضان 737 هـ/2 مايو 1337 (**بغية الرواد**، ص 146).

فصل
[أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق][33]

وأما الصالح، الولي العارف، الكبير القدر، أبو عبد الله[34]، جدي الأقرب، الذي هو بركة هذا البيت ووسيلتهم، وإمام أهل وقته وقدوتهم، فمولده بتلمسان العليا بدار أبيه، وهي التي كانت قد اغتصِبت قديما، وتورع والدي، رحمه الله، عن أخذها بعدُ، ثم أخذتها أنا في أيام خاتمة ملوك المغرب، السلطان أبي الحسن[35]، رحمة الله عليه. وسيأتي ذكره، إن شاء الله تعالى، ويعرف بدار ابن مرورة بالبيت الجوفي الكبير منها، في حدود تسع وعشرين وستمائة.

وأمّه : زينب بنت الشيخ الصالح، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي، أحد الصلحاء، وهو الذي بنى الدار المعروفة إزاء دار أبيه المتقدم ذكرها. قرأ، رضي الله عنه، القرآن العظيم على جماعة من مشيخة عصره، وسنذكر، إن شاء الله، بعضهم عند ذكر مشايخه وأصحابه. واشتغل بقراءة الفقه والحديث، ثم اشتغل آخراً بكتب التصوف، وانقطع للعبادة، وتخلى وتجرّد، وكان من شأنه ما يذكر، بحول الله تعالى.

وكان والده موسوعا عليه، وكذلك جده لأمه. مات والده وخلفه صغيراً، ثم مات جده لأمه، وكان ذا مال، فورثته ابنته، وورثها هو، رضي الله عنه. ونشأ في خير وعبادة. وكان وسيما يضرب به المثل، فأسرع الناس للمصاهرة إليه. فصاهر إليه الفقيه أبو عبد الله الكتاني، وكان كبير بلده، وصاحب المشورة فيها، والمفوض إليه من قبل ملوك الموحدين بني عبد المؤمن بتلمسان؛ فأنكحه ابنته، وأقامت معه مدة، وولدت له ولديْن، كبرا وقرءا القرآن، ثم اخترما، وتوفيت أمهما، رحمة الله على الجميع، قبلهما، وخلفت أموالا طائلة، فلم يتماسك، رضي الله عنه، لولديه منها ولا لنفسه، من متروكها بخردلة. وكانت من الصالحات.

---

(33) العنوان الموضوع بين معقوفتين هو من وضع المحققة.

(34) عُرف بمحمد الثاني المتوفى سنة 681 هـ 1282م.

(35) **أبو الحسن** علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (692 - 752هـ) أشهر سلاطين بني مرين. وأبعدهم أثرا في الحضارة والعمران. بويع في ذي القعدة سنة 731 هـ. عرف عند العامة بالسلطان الأكحل. ثار عليه ابنه أبو عنان فارس، ومات حزينا سنة 752 هـ عند بني عامر في جبل هنتاتة. ولهذا السلطان آثار معمارية كثيرة بالمغرب الأقصى والأوسط وبالأندلس خلدها ابن مرزوق في كتابه "**المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**" السابق الذكر.

أخبرني شيخنا، أبو العباس ابن القطان، وعمي، رحمه الله تعالى، أنها كانت ملازمة للعبادة مع زوجها، رحمه الله تعالى، مقتصرة على ما يقتصر عليه من القوت، متورعة عن أكل طعام أبيها، مباعدة لأهلها.

وأخبراني أن خادماً من خدمها توجهت ليلة لدار أبيها، فسألها عن عشاء ابنته وزوجها، فقالت له الخادم : أما نحن، فتعشينا، وأما مولاتي وسيدي، فما أظنهما طُبخ لهما عشاء. فكانت بين يديْه مائدة بأطعمة، فوجهها للحين، وذلك قبل أن يعرف حالها. فلما دخل بالمائدة، سألت عن السبب لتوجيهها، فأخبرتها الخادم، وكانت الخادم موهوبة لها من أبيها. فلما كان من الغد، وجهتها لدار أبيها، وأعتقتها، وقالت : ما جزاء الخادم التي تتحدث بأخبار المرأة مع زوجها إلا الإخراج! فلما علم والدها حالها، خلى سبيلها.

وأخبراني أن والدها كان يخرج للموضع المعروف بالكهف الضحاك، ويسكنه بدار الموحدين منه، وهو من أعظم المواضع، وأحسن المتنزهات التي يضرب بها الأمثال، وذكرت شعراء تلمسان، ويستدعي ابنته للخروج، فتفرد بنفسها، نفعنا الله عز وجل.

فصل في حاله وابتداء أمره

كان، رضي الله عنه، يلازم في ابتداء أمره، علماء عصره، كشيخ المحدثين، الإمام الحافظ، أبي زكريا يحيى بن محمد بن عصفور العبدري[36]، صاحب الإمام أبي بكر بن العربي[37]، وأصحاب القاضي أبي عبد الله بن عبد الحق[38]، صاحب

(36) **بغية الرواد**، 114.

(37) محمد بن عبد الله **بن العربي** المعافري الإشبيلي، القاضي أبو بكر (توفي بفاس سنة 543 هـ) الحافظ المستبحر، وإمام من أئمة الفقه المالكي. رحل إلى المشرق مع أبيه سنة 485 هـ ولقي أبا بكر الطرطوشي وأبا حامد الغزالي. بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين عامة. له مؤلفات منها : أحكام القرآن، وقانون التأويل، وسراج المريدين، وعارضة الأحوذي. (**الصلة** لابن بشكوال، ص 558 ؛ **بغية الملتمس**، 92 ؛ **المرقبة العليا**، 105؛ **جذوة الاقتباس**، 160. **شجرة النور**، 136 ؛ وانظر : سعيد أعراب، **مع القاضي أبي بكر ابن العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت).

(38) هو الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد **بن عبد الحق** بن سليمان اليعفري الكومي التلمساني. الفقيه المحدث المحقق القاضي. ولي قضاء تلمسان مرتين. توفي بتلمسان سنة 625 هـ (**بغية الرواد**، 112 ؛ ابن الأبار، **التكملة ؛ ألف سنة من الوفيات**، 70).

الكتاب "المختار"[39]، وبقي صاحب الصلاة، وسيأتي إن شاء الله ذكرهم ؛ وجدي للأم الإمام المصنف، الشهير القدوة، أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي[40]، ونظرائهم[41] ؛ أول نهاره، ثم يرجع إلى منزله لمطالعةٍ ونسخٍ، يصوم نهاره، ويحيي ليله، ويقطع بقية اليوم وطول ليله في عبادةٍ. فاشتهر، فتخلى وانقطع.

فصل
في ابتداء ظهور حاله، واشتهار أمره، ومعرفة الملوك به

أخبرني جماعة لا أحصيهم كثرة، وهي من القضايا المتواترة المعروفة عند قدماء أهل تلمسان، أن سبب اشتهاره أن رجلا كان يتردد إليه بمرافق البادية، من جبل بني ورينـد[42]، فوق العُبّاد[43]، توفي وخلف ولده وزوجته، فكان يتردد إلى الشيخ بالحطب والفحم وما يحتاج إليه في البادية. فسعى قوم من قبيلهم في الولد لوزير السلطان أبي يحيى يغمراسن[44]، بما يوجب سفك دمه، وأخذ مالهم ظلما. فسجن الولد، فجاءت أمه وهي ملتهفة، قد ذهب عقلها، وعيا صبرها، فشكت إليه أمرها، فدعا لها، فقالت له : ما أريد منك دعاء، وإنما أريد منك أن تكلم لي السلطان. فقال : ما لي وللسلطان ؟ ومن أين أعرفه أو يعرفني؟ إنما أشفع فيه إلى

(39) هو كتاب "المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" ويفهم من عنوانه أن مؤلفه اعتمد على **كتاب المنتقى لأبي الوليد** الباجي، وكتاب الاستذكار بمذهب علماء الأمصار لابن عبر البر. **(بغية الرواد، 145)**.

(40) **جد ابن مرزوق للأم وقد افرد له ترجمة ضافية في هذا التقييد. (وانظر : المسند، ص 479 ؛ بغية الرواد، 114 ؛ نيل الابتهاج، 38-39 ؛ كفاية المحتاج، 144/143/1 ؛ نفح الطيب، 370/5 ؛ البستان، 66-68 ؛ تعريف الخلف، 2/18-20)**.

(41) **في أ : نظائرهم**

(42) **ما بين المعقوفتين مطموس في أ.**
- **وجبل بني ورينـد** : يقع على بعد نحو ثلاثة أميال من تلمسان وصفه الحسن الوزان بكثافة السكان، وبكونه "ينتج كمية وافرة من الفواكه، لا سيما التين والكرز، وأهله فحامون وحطابون وفلاحون" **(وصف إفريقيا، 44/2)**.
- و"ورنيد" اسم كذلك لبطن من بطون زناتة، وما زال بنو ورنيد قاطنين جنوب تلمسان في الجبل الذي كانوا نازلين به في تلك الأعصار (التنسي، **نظم الدر والعقيان**، ص 117 هامش 29).

(43) مدينة صغيرة شبه ربض تقع على بعد نحو ميل جنوب تلمسان، بها توفي أبو مدين الغوث وبها يوجد ضريحه.

(44) زعيم بنو عبد الواد بتلمسان، وأول ملوكهم (من سنة 633 هـ/1235م إلى سنة 681/1283) سنة وفاته. **(بغية الرواد، 204207 ؛ التنسي، نظم الدر والعقيان، 115-128)**.

سلطان السلاطين، ومولى الكل، المتصرف في الجميع بما يشاء من قدرته. فلم يرضها ذلك، وكان ذلك آخر النهار، فباتت عنده في الدار. فلما انتصف الليل، سمعوا ضجّة بباب الدار، وقارعاً يقرع الباب وينادي : أين سيدنا أبو عبد الله ؟ فخرج، فوجد الوزراء وحجاب السلطان، وكبراء أهل دولته، ومعهم ولد المرأة. فقالوا له : السلطان يقبل بيدك، ويسلم عليك، ويقول لك : "ادْعُ لي، وإن أذنتَ لنا في الوصول إليك، وصلتُ إليك". ويقول لك : "اعذرنا في جهلنا بقدرك، وأن مثلك بين أظهرنا، ونحن لا نعرف قدره". فقال لهم : "ومن أنا حتى يُقال لي هذا؟ ولعلّ السلطان وهَمَ". فقالوا له : يا سيدنا ! بينما هو نائم، إذا رجل قد وقف له، وقال : قمْ، واطلقْ الرجل الذي تكلم فيه أبو عبد الله بن مرزوق. قال : فاستيقظتُ وأنا مفكر فيما رأيته، ثم عدتُ للنوم، فوقف لي ذلك الواقف بعينه، وقال لي : ألم أقل لك : قمْ، فأطلقه؟ أعني الرجل الذي تكلم فيه أبو عبد الله، بن مرزوق ؟ قال : فاستيقظتُ متحيراً، وسألتُ من حضرني عن هذا الإسم، فلم أعرف به، فعدت لنومي، فوقف لي ثالثة بحربة في يده، وقال لي : إن لم تطلق الآن هذا الرجل الذي تكلم فيه هذا الولي، بهذه الحربة أضربك. فاستيقظت مذعوراً، وأمرتُ بالأبواب، ففُتحت، واستدعانا وسألنا، بعد أن عرّفه بعض الحرائر بمكانك، فعرفه منا من عرّفك، وسألنا في السجن عن من هو من جهتك، فعرفنا بهذا الصبي، فدعا به السلطان، ووجهه إليك، وقال لك : إن كان هو هذا، وإلا عرّفنا بمن هو. فقال لهم : نعم، هو. فصاح بوالدته، فاعتنقت ولدها، وذهب كربها.

وذكر لي غير واحد أن السلطان سرح من وجد في السجن تلك الليلة، فاعتذر لهم الشيخ، وقال لهم : هذا خاطر هذا العجوز، وأما أنا فلست هناك. وأما الاجتماع بالسلطان فهذا شيء لا أستطيعه ولا أعمله، ولا أقدر على التوجه إليه، ولا على وصوله هو إليّ، ولعل لهذا وقت غير هذا، إن شاء الله تعالى.

فعادوا للسلطان، رحمه الله تعالى، بالخبر، فقال لهم : قد ابتلي قلبي من هذا الرجل، ولا بدّ لي من الاجتماع به. فلما كان من الغد، وصله من خواص السلطان وقرابته من اجتمع به، وتلطف للان[45] في السلطان، رحمه الله، في أن يجتمع به، فتمادى على امتناعه.

(45) هكذا في النسختين. ولعلها : "وتلطف له ليلين".

وهذه الحكاية كانت سببا لمعرفة السلطان به، وكذلك سائر الناس. فإن السلطان أبا يحيى، رحمه الله، كان يعمر به المجالس، نفعه الله بذلك.

فصل في امتناعه من رؤيته، واحتجابه عنهم، وما وقع له في ذلك، رضي الله عنه.

أخبرني شيخنا ابن القطان، والشيخ المؤرخ الثقة، أبو محمد عبد الله الشريشي، والشيخ المعظم، أبو محمد عبد الله بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، المعروف بابن أبي حفص[46]، حفيد السلطان، وسمعتُ الشيخ المعظم، كبير بني عبد الوادي، وشيخ دولتهم، أبا سليمان داود بن علي[47]، يذكر هذه القصة، وهي في الشهرة مثل التي قبلها ؛ أن السلطان أبا يحيى يغمراسن بن زيان، تغمده الله برحمته، اشتد حرصه على الاجتماع بالشيخ، فعمل على ذلك مرات متخفيا، وأنه دخل إلى مسجد مرسى الطلبة، فصلى معه المغرب ليالي، رجاء أن يسلم عليه إذا انصرف، فلم يقدر على رؤيته، تارة يتلبس بالنافلة حتى ييأس السلطان وينصرف، وتارة لا يشعر به إلا وقد خرج. قال : وكان السلطان يقصد إلى السارية التي عند باب المسجد، فلا يشعر به إلا وقد خرج. قالوا : ودخل السلطان ليلة من باب الجياد[48]، ومعه خواص أهل حضرته، فقالوا : يا مولانا ! ترى التي[49] أنت تبحث عنه، وتريد رؤيته والاجتماع به، وهو سيدي أبي عبد الله ابن مرزوق. وقال لهم : أين هو ؟ قالوا له : ها هو بين أيدينا. وهم دخولٌ من الباب، فقال لهم : ننزل. فقالوا له : حتى تقرب منه. فنظروا، فلم يجدوه. فأخبرنا شيخنا، أبو العباس القطان، أن بعض أصحابه سأله، فقال له : يا سيدي ! أين كنت حتى كانوا يبحثون عنك؟ قال لهم : والله ما زلت أمشي على حالي، حتى دخلت في المسجد الذي بجنب الساقية، عن يسار الداخل من باب الجياد، وجدته مفتوحاً فدخلت إليه وكلهم مزعمون أنهم لم يتركوا سبيلا في البحث عنه، لا في المسجد ولا في غيره،

---

(46) لم أقف له على ترجمة.

(47) **بغية الرواد**، ص 216

(48) أحد أبواب تلمسان، انظر الوصف الذي خصصه لها وليام وجورج مارسي.
Les monuments arabes de Tlemcen, Paris, 1903, Index.

(49) كذا في النسختين. وفوق الكلمة كتبت لفظة (كذا).

فلم يروه. فحينئذ قال لهم السلطان، رحمه الله : هذا رجل حجبنا الله عنه. وبكى، ولكن لعلّ الله لا يحجبني عنه في الآخرة، وأنس بقوله لحاشيته قبل هذا : "لعل لهذا وقتا[50] غير هذا". وأما حاشية السلطان، فكانوا يستأذنون عليه، فيعتذر لهم.

فصل في سيرته واشتغاله بنفسه، بعد شهرته، رحمه الله

كان، رضي الله عنه، بعد صلاة الصبح يجلس في مجلس جدي للأم، أبي إسحاق التنسي، المتقدم الذكر. وكان يقرأ عليه الحديث بعد صلاة الصبح. كان أولا يجلس قريبا من الشيخ، فلما عرف الناس موضعه، صاروا يزدحمون عليه. فكان يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان أقرأ الناس بمسجد حارة الرماة، ويعرف في هذه الأعصار بمسجد ابن جحاف، وابن خرزوزة[51] الخطيب، فإنه كان يؤم فيه، وأمّ فيه مدة صاحبنا الخطيب الصالح، أبو القاسم بن أبي القاسم، الحكيم التلمساني[52]، المتوفى بفاس في خدمة السلطان المرحوم، أبي عنان[53]. قالوا : فربما كان يجلس في الصحن الذي في ظهر المحراب، بالدرج بحيث يسمع، هروبا من الناس. فإذا تعالى النهار، ركب بغلته، وكانت له بغلة عليها

---

(50) في النسختين : وقت.

(51) في ب : ابن خرزودة.

(52) هو محمد بن محمد **المقري** التلمساني : قاضي الجماعة بمدينة فاس وبتلمسان. حج ورجع لبلده وانقطع إلى خدمة العلم. فلما ولي أبو عنان السلطة اجتذبه وولاه قضاء الجماعة بفاس، واستعمل في الرسالة. توفي بفاس سنة 759 هـ. ودفن بتلمسان. ولابن مرزوق الحفيد كتاب في ترجمته سماه "**النور البدري في التعريف بالفقيه المقري**" انظر : **جذوة الاقتباس**، 299-300 ؛ **الديباج**، 264/2 ؛ **نيل الابتهاج** ؛ 420-427 ؛ **البستان**، 154 ؛ **رحلة ابن خلدون** 102-103 ؛ **الإحاطة**، 191/2-225 عادل أبو نهيض، **معجم أعلام الجزائر**، ص 180.

(53) هو أمير المؤمنين المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، المكنى بأبي عنان.. ثامن السلاطين المرينيين. ولد عام 729 هـ/1329م بفاس من جارية مسيحية سميت شمس الضحى. ثار على أبيه، أبي الحسن بتلمسان عام 749 هـ/1349م، واستولى على الملك بالمغرب الأقصى. كان مغرما بالعلوم والبناء توفي سنة 759 هـ وقيل مات مقتولا، خنقه وزيره الحسن بن عمر الفدودي وله 30 سنة. (ابن الأحمر، **روضة النسرين**،37-40 ؛ **نثير الجمان**، 69-70 **النفحة النسرينية**، 51-53 ؛ **العبر**، 378/7-398 ؛ **جذوة الاقتباس**، 314 ؛ ابن الخطيب، **رقم الحلل**، 112 ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، 93، 104-106 ؛ الناصري، **الاستقصا**، 181/3. وانظر، علي حامد الماحي، **المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني**، الدار البيضاء، 1986.

برذعة، واجتاز بجنانه الذي ورثه عن أبيه بالربض، من داخل تلمسان، فتارة ينقطع فيه بقية يومه إلى الليل، وتارة يخرج لمسجد بأعلى العباد، وبسفح الجبل، ويعرف بمسجد العزالة[54]، فينقطع فيه إلى الليل. فلما بنى موضعه بالعباد، في الجنان الذي غرس أكثره بيده، وهو الجنان المعروف بركاته حتى الآن، صار ينقطع فيه سائر نهاره، فإذا دخل من العشي، دخل بين يديه بمحفظة فيها الموجود من الفواكه في الوقت، أخضرها أو يابسها، فإذا لقي صبيا صغيراً، أو مريضاً، أو من يتفرّس فيه الحاجة إلى شيء مما عنده، فيعطيه إياه، وصرة فيها دراهم، فيتصدق فيها. فكان المساكين والصبيان يتعرضون له في طريقه. فكم من شخص يقول : اشتهى عندي مريض سفرجلة، ويقول أحملها، وآخر يقول رمانة حامضة، وآخر يقول وردة، وآخر يقول تفاحة. هذا مما تطابقت عليه الأخبار، فلا حاجة إلى ذكر الجزئيات من ذلك. فإذا دخل، أعطى دابته لمملوك كان معه، ودخل مسجده للصلاة في المغرب. فإذا صلى، انصرف إلى منزله، فأفطر. وسنذكر، إن شاء الله عزّ وجلّ، ما كان يفطر عليه، ويتنفل إلى صلاة العشاء الأخير. فإذا صلى العشاء الأخير، أتى منزله، كما سنذكره في أحواله، إن شاء الله عز وجل.

وكان يزور المقابر، في أيام مخصوصة، ويزور إخوانه في الله بعد صلاة الجمعة، فإنه كان لا يركب يوم الجمعة، بل يشتغل من أول النهار بوظائف الجمعة. فإذا صلى، تفقد إخوانه، وكانت غالب صلاته يوم الجمعة تلمسان القدمى[55] وإذا صلى بالجامع الأعظم صلى في الجانب الغربي، في الزاوية العليا، وفيها كان يصلي والدي، رحمه الله، وجدي للأم، العالم أبو إسحاق التنسي، وأهل الورع والتحري؛ فإنهم يذكرون أن ذلك الجانب الشرقي من الجانب في اغتصاب[56]، وأن العلماء كانوا ينحرفون عنه. وفيه أدركت أهل الخير يصلون، أعني في الجانب الغربي.

(54) العزالة : كتب فوقها في أ لفظة : "كذا".
(55) في أ : العليا.
(56) في أ : اعتصاب.

فصل في سيرته إذا آوى إلى منزله

كان، رحمه الله، حسن الخلق، ليّن الجانب، يبسط أهل منزله ويؤنسهم، ويسألهم عن أحوالهم، ويوسع عليهم في نفقاتهم. وكان يتولى خدمة نفسه فيما يحتاج إليه في أمور العبادة، وربما ربط دابته، ويستدعي الخادم، فتأكل معه. وكان قد آوى[57] إليه جماعة من عجز أهل مرسة، أسكنهم في دويرة ملاصقة لداره، وكنّ نساء صالحات، يدخل كل ليلة، فيسألهن عن حالهن، وكان يقوم بمأونتهن، وكان يجالسهن، ويتحدث معهن، ثم يعود لبيته الذي كان ينام ويقوم فيه، فيحيي ليله قائما بتلاوة القرآن.

وكان حسن التلاوة، طيب النغمة. وكان ينام أول الليل، نوما خفيفا. وكان له خشوع، وإذا زاد يسيراً على المعتاد من النوم، أيقظه رفيقه وصاحبه من مؤمني الجن.

أخبرني والدي، وعمي، وابن القطان، وغيرهم، أن هذا كان يقرع عليه باب البيت قرعاً خفيفاً، ويقول : يا أبا عبد الله! هذا وقتنا، فإذا توضأ وانتصب قائماً، صُلي معه، حتى يفرغ من صلاته.

قال لي والدي، رحمه الله : يا بني! وكذلك يفعل معي أحيانا، فاحذر، يا بني، أن تخاف إذا سمعت شيئا. قلت : فلما كان في ليلة، وكان، رحمه الله، قد خرج إلى العبّاد ليبيت به، فبتّ في الدار منفرداً، في البيت المذكور، وخادم في البيت الآخر، ثم إن الخادم دخلت إلى دار متصلة بالدار، وبقيت وحدي. فلما كان بعد هزيع من الليل، دخل حسّاً، فظننتُها الخادم، ثم إني استبنت[58]، فسمعت مشيا غيرَ مشيها، وحركةَ إعداد الطهور في سطل بعد استقائه من البئر، ثم أقبلَ الحس إلى باب البيت، فنقر نقراً خفيفا، وقال : يا أبا العباس ! نمت عن وقتك، قمْ. فكرر ذلك مراراً، وأنا قد ذهلتُ، وكاد عقلي يتلف. فلما لم يُسمع حساً، انقطع الحس للجن، فبقيت داهشاً لا أستطيع حركة، حتى طلع النهار، ودخل والدي، رحمه الله، فوجدني مذعوراً، فقال لي : لعلك سمعت شيئاً، ألمْ أقلْ لك : لا تخف ؟

(57) في أ : أتوا.

(58) في ب : استتبت.

وكان كل ليلة جمعة يجمع إخوانه في الله، من أهل الإرادة، وأرباب الحقائق، والتصرفات وبعض ليال من غير ليالي الجُمع، إذا ورد عليهم وارد، واقتضى ذلك مقتض.

فصل في وصف بعض الليالي التي كان يجتمع فيها إخوانه

أخبرني، سيدي الشيخ أبو العباس ابن القطان، وكان كثيراً ما يحضر الجمهور، قال : فيجمع فيها صلحاء البلد، وعلماء الوقت الظاهرين، فيجتمعون. قال : فإذا حضروا وَصلّوْا، تذاكروا، فتقع الأسئلة في الأحاديث والمسائل للعلماء، وتقع المذاكرات بين المتصوفة والصلحاء في المقامات والأحوال، بعد أن يصلّوا ما تعودوه[59]. من النوافل، ويحضر من الطعام ما يعمهم، وينشد من حضر ممن يحسن الإنشاد، ويعظ من يعظ، لا يزالون كذلك طول ليلهم، وربما يظهر لهم عند التواجد أحوالاً.

وأما الليالي الخاصة، فيجتمع بها بأصحابه وخواصه، المتجردين والمنقطعين الذين لا يعرفهم إلا من هو منهم، ففيها شاهدوا العجائب، وكان له نحو[60]من أربعين من خواص أصحابه.

أخبرني العدل، أبو عبد الله السُني[61]، والثقة، أبو محمد الشريشي[62]، وغيرهما، أن بعض أصحابه من أهل الظاهر، انتقد عدم استدعاء الشيخ له مع هؤلاء المتجردين[63]، وقال : لعله لا يطلعنا على أحوالهم وكراماتهم، وما هذا معناه، وكأنه خلط هذا المعنى باستبعاد ما يبدو عليهم من الأحوال. فحضر ليلة من الليالي بخاطر الشيخ استدعاءه. قال : فحضر، فما كان إلا أن فرغوا من الأوراد، وقال قائلهم، وقاموا متواجدين. فنظرت إلى شجرة النارنج التي في وسط الدار، وهم يدورون حولها، وهي تميل إلى هؤلاء، وإلى هؤلاء، وكلا يقتطف منها نوعا غريبا

(59) في أ : تعوذوه. وفي ب : تعاودوه.
(60) في النسختين : نحوا.
(61) لم أقف على ترجمته.
(62) في أ : الشريسي.
(63) في أ : المتحرين، وفوقها (كذا). في ب : المتجرين.

يبين منها، كالسفرجل والرمان، وأنواع الفواكه والرياحين. قال : فنظر إليّ الشيخ، فقمتُ مستغفراً.

أخبرني الشيخ، أبو العباس ابن القطان، رحمه الله تعالى، قال لي : إن أعجب ما رأيت في ليالي الاجتماع، وهي خاتمة الليالي، أن حضرها الأربعون، وفيهم رجل مصمودي، وكان يأوي بجامع تفرغنبو، موضع معروف بتلمسان، صار الآن ببعض دور القصر، والمسجد الآن محمول عليه بعض القصر المعروف بأبي قير، وبقي مهملاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. قال : فلما تواجد القوم على عوائدهم، وقف وقال : يا إخواني! أما اشتقتم إلى لقاء المحبوب ؟ أما تحبون لقاء الله، إن كنتم صادقين في المحبة؟ فاسئلوا الله أن لا يمر عليكم ستة أشهر، إلا وجميعكم قد لقوا به، وأكون أنا أولكم. قال : فما حضروا من الليلة المقبلة إلا وقد دفنوه، ومات جميعهم قبل تمام الأمر المذكور، نفعنا الله تعالى ببركاتهم، وأفاض علينا من خيرهم.

فصل في لباسه، رضي الله عنه

كان، رضي الله عنه، ووالده وأولاد، يتجاملون ويلبسون أحسن الثياب. في أيام المصيف، البياض، والملاحف[64] التونسية، والأحارم.

أخبرني العدل، أبو عبد الله، محمد بن علي السني، عن بعض الفضلاء، أنه كان يقول لأصحابه إذا انصرفوا من صلاة الجمعة : تعالوا بنا نجلس على طريق، يمرّ بنا رجل، نوّر الله ظاهره وباطنه، فليس في وقتنا أجمل منْه صورة، ولا أحسن هيئة، ولا أنور باطناً. قال : فيقول المقري[65]، وأبو عبد الله بن داود[66]،

(64) في النسختين : الملاحم.

(65) ستأتي ترجمته لاحقا.

(66) أبو عبد الله **محمد بن عبد الله بن داود** بن الخطاب القيسي الغافقي، نزيل تلمسان. من أهل مرسية. كتب بغرناطة عن ملوكها وقفل إلى مرسية وقد اختلت أمورها، فارتحل إلى تلمسان، وكتب بها عن السلطان يغمراسن بن زيان. توفي سنة 636 هـ. **البستان**، 227 ؛ **بغية الرواد**، 129 ؛ **نظم الدر والعقيان**، 127.

والخطيب أبو عبد الله بن الحمال[67]، إنهم ما رأوا أحسن منه صورة، ولا أجمل منه هيئة، ولا أطيب رائحة. وكان لا يَعتَمّ، وكانت له وَفْرَة[68].

فصل في صفته، رضي الله عنه

كان، رحمه الله، لما اجتمع لي من الأخبار في صفته، طوالا أبيض[69]، مشوباً بالحمرة، مستدير اللحية، كثها، شديد سواد الشعر، أكحل العينين، قويم الأنف، لا يزال مبتسماً، وإذا كلمه أحد احْمرّ خجلاً. وهكذا كان والدي، رحمه الله عز وجل، ونفعني به.

فصل في مأكله، رضي الله عنه

كان، رحمه الله، متجملا في ملبسه، متقشفا إلى الغاية في مأكله، مقتصراً على القوت التي لا يكاد يحفظ البنية. وكان يكثر الصوم، ويفطر أحياناً.

أخبرني والدي، رحمه الله تعالى، أن غالب فطره كان على قشرة من خبز، وثلاث بيضات مدفئات عل النار، يجعل فيها يسير ملح، ويأتدّم بها، ثم اقتصر على اثنتين مدة، ثم على واحدة. قال : وربما جعل له بعض أحيان بالقشرة التي كان يأكلها، ثريد يسير.

وكان يأكل اللحم أحيانا، وربما يجعل له، في أيام فطره، يسيراً من الطعام الذي يعرف بالبركوكش[70]، وهو المعروف بالمفتلة عند المشارقة، بيسير زبد أو سمن، فيأخذ منه ثلاث[71] لقم. ومع هذا، كان محفوظا لبنيته، شديد الحمرة، نفع الله به.

---

(67) أبو عبد الله محمد بن الصالح أبي الحسن **بن الحمال** (الجمال في نفح الطيب، وأزهار الرياض)، كان يتناوب على الخطابة بجامع تلمسان مع الشيخ أبي عثمان ابن الخطاب (**بغية الرواد**، 117 ؛ **نفح الطيب**، 242/5 ؛ **أزهار الرياض**، 57/5).

(68) **الوفرة** : الشعر المجتمع على الرأس، وقيل : ما سال على الأذنين من الشعر (**لسان العرب**، مادة : وفر).

(69) في النسختين : أبيضا.

(70) في ب : **البرككوس** وقد أورد ابن رزين التجيبي في كتابه "**فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان**" تحقيق د. محمد ابن شقرون، ط 1، الرباط، 1981، ص 26 (وصفة لحسو يعرفه الأندلسيون بالزبزين وأهل العدوة بالبركوس). ويعلق محقق الكتاب على ذلك قائلا : "أما البركوس الذي أورده المؤلف فهو كثير الاستعمال في المغرب خصوصا في الجنوب، ولكن بوزن "بركوكش"، وهو من الأطعمة الشعبية والطلقة المتواضعة" (نفسه، ص 192).

(71) في النسختين : ثلاثة.

الإنتقال إلى ص170

فصل في الإشارة التي أشار إلى الفقيه الصالح، أبي الحسن بن النجارية، نفع الله به بمنه.

كان السلطان أبو يحيى[94]، رحمة الله عليه، لما أوصى بأن يُدفن بإزاء الشيخ، قال لبنيه[95] : أول صالح يموت بعده يدفن إلى جانبي من جهة أخرى، لعل الرحمة تكتنفني. فكان الصالح أبو الحسن[96] أول من مات بعده من أصحابه. وقيل : بل نصَّ عليه، وكان من كبار الأولياء الصلحاء، فدفن مع الشيخ. فهاذه كانت الإشارة، نفع الله بهم.

وكان أبو الحسن ابن النجارية من أصحاب المقامات، وأرباب الأحوال، وكان يعلم القرآن. وظهرت له كرامات معروفة عند أهل بلده. وله عقب من جهة البنت، وهو بنو الوجدي، ويعرفون بابن النجارية، جدهم. وكان أحدهم من خيار العدول، وله عقب من جهة الولد، ولا أدري هل له عن بني النجارية القاطنين بهُنيْن الآن ولادة من جهة الولد أم من جهة البنت، أو غير ذلك، أو لا. وهم قوم من خيار النجار.

فصل في ذكر مشايخه، وأصحابه معاشريه ومعاصريه ببلده وغيرها، رضي الله تعالى عن جميعهم.

قرأ القرآن العظيم على جماعة، منهم :

الشيخ الصالح، أبو عبد الله الكفيف[97]، وعليه كان معوّله، وكان من المشاهير. والشيخ الصالح، النحوي الشهير، الزاهد، أبو عبد الله المالقي[98]. وقرأ عليه يسيراً

---

(94) أبو يحيى يغمراسن بن زيان تولى الحكم من سنة 633 هـ إلى سنة 681 هـ/1236 – 1283 م (**بغية الرواد**، 204-207 ؛ التنسي، **نظم الدر والعقيان**، 115-116.

(95) في أ : لابنه.

(96) **أبو الحسن علي بن النجارية** : الشيبخ الولي الصالح ذو الزهادة في الدنيا. قبره إزاء قبر أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان، قصد التبرك له بجواره. انظر : **بغية الرواد**، 122.

(97) **بغية الرواد**، 114.

(98) نفسه.

من العربية، وجوّد عليه القراءات، وقد ذكره أبو عبد الله ابن عبد الملك[99] في كتاب : "الذيل والتكملة"[100]. والحديث على ابن عصفور[101]، والتنسي[102]. وحضر تدريس الفقيه أبي زيد اليزناسني[103]، وعنده كان يدرس بمسجده، وغيره ممن لا أذكره الآن.

وأما مشايخه في طريق القوم وسلوكهم، وعلوم الآخرة، فأخذ عن جماعة من أصحاب سيدي أبي مدين وهو كان المقدم على أتباعه، وعن أصحاب الشيخ أبي العباس أحمد المقري، صاحب الشيخ أبي مدين، وعن أصحاب الشيخ أبي محمد صالح[104]، ولبس من جميعهم، ولزم الخطيب الفقيه المتصوف أبو عبد الله محمد بن علي ابن اللجام[105]، وهو الذي قدّمه، فإنه كان من أصحاب سيدي أبي مدين، وكان المقدم على أصحابه وأتباعه، فتخلى عن ذلك، وقدم الشيخ، ودفع

(99) **أبو عبد الله بن عبد الملك** : محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري، الأوسي المراكشي. مؤرخ أديب من القضاة ولي القضاء بمراكش مدة، توفي بتلمسان سنة 704 هـ/ 1303م من آثاره "**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**"، أكبر موسوعة مغربية في التراجم. (انظر الترجمة الضافية التي خصها به د. محمد بن شريفة في تقديمه للسفر الثامن من كتاب الذيل والتكملة).

(100) **الذيل والتكملة**، بقية السفر الرابع، ترجمة 325، ص 178 (أبو محمد عبد الله بن إبراهيم المالقي).

(101) **أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عصفور** العبدري.الشيخ الفقيه القاضي. توفي سنة 734 هـ (**بغية الرواد**، 114 ؛ **ألف سنة من الوفيات**، 78، 188).

(102) أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، جد ابن مرزوق للأم. انظر ترجمته المفصلة لاحقاً.

(103) أبو زيد عبد الرحيم بن محمد (أو بن عمر) **اليزناسني** (اليزناتني في **عنوان الدراية**) : الشيخ الفقيه العالم، له رحلة إلى المشرق، صاحب نجم الدين ابن شاس، كان محققا لمذهب مالك ولأصول الفقه، من أهل الاجتهاد. ارتحل لفاس فوطنها حتى مات، وكان له بها ظهور (الغبريني، **عنوان الدراية**، تحقيق عادل نويهض، بيروت،1969، 258 ؛ أحمد بابا، **نيل الابتهاج**، 266-267 ؛ **جذوة الاقتباس**، 415 ؛ ابن الأحمر، **نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**، تحقيق د. محمد رضوان الداية، بيروت، 1976، 367 ؛ **شجرة النور**، 185.

(104) الشيخ الصوفي أبو **محمد صالح** بن ينصارن الدكالي ثم الماجري دفين رباط آسفي، مؤسس طائفة الماجريين، ت631هـ/1233م (**أنس الفقير**، 62-64 ؛ **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**، الكتاب كله ؛ **رحلة العبدري**، 280 ؛ **مفاخر البربر**، 77-78 ؛ **الديباج المذهب**، 210 ؛ **كفاية المحتاج**، 227/1 ؛ **توشيح الديباج**، 108 ؛ **البستان**، 116 ؛ **سلوة الأنفاس**، 43/2-44).

(105) بغية الرواد 118.

سلاح سيدي أبي مدين، رضي الله عنه، مرقعته وفركينه، وهو المظلة التي كان يجعل على رأسه،.وسجادته وعكازه الذي كان يتوكأ عليه، وهو الباقي الآن من سلاحه بيدنا. وأما غيره، فقيل إنه ضاع من عنده، وقيل إنما ضاع من عند ابن اللجام، في دخلة تلمسان، سنة ستة وأربعين، حين دخلها عنوة، الأمير أبو زكريا ابن عبد الواحد[106]، وكان قد استباحها. وفي هذه الدخلة[107]، ذهب أكثر ما كان بيد أبي عبد الله الأكبر، والد جدي، رحمة الله عليهم.

حدثني الشيخ الصالح، أبو العباس ابن القطان، وعمي، رحمهما الله تعالى، عن جدي، عن أبي، قال : لما قرب الأمير أبو زكرياء من تلمسان، اجتمع إلى أهل مرسى الطلبة، وقالوا لي : نجعل أسبابنا في دارك. فقلت لهم : هؤلاء القوم لا يعرفونني ولا أعرفهم. فقالوا لي : فكيف نعمل ؟ فقلت لهم : يا إخواني ! نحن من الناس. فقالوا لي : لا بد أن نجعل أسبابنا في موضع واحد. فقال لهم شخص، كان يخدم الشيخ : هذه مصرية الشيخ، وفيها مطبق يدخل منه لبرجة، وهي ما بين سقفين للجامع المتصل بمصرية الشيخ، فاجعلوا جميع أسبابكم فيها. فعزموا على ذلك، وكان في المصرية تاجر أندلسي، قد جاء بسلع من تونس، من أصحاب الشيخ، وكان منقفلا[108]، فجمعوا أسبابهم وأسباب التاجر، فجعلوها في الموضع المذكور، وتفرق الناس، فأكثرهم اختفى في القنوات والمطاهر والصبور[109]،

(106) مؤسس الدولة الحفصية بإفريقية، حكم ما بين سنة 627 و647 هـ/1228-1249م (الزركشي، تاريخ الدولتين، 55-69).

(107) ينفرد ابن مرزوق بإيراد سنة 646 هـ تاريخ دخول الخليفة الحفصي مدينة تلمسان عنوة. فالمصادر الأخرى تقدم تواريخ مختلفة. ويبدو أن الأمير أبو زكرياء الحفصي قد حاصر مدينة تونس في شهر شوال من سنة 639 هـ/1241م أو في أواخر محرم 640 هـ/يوليوز 1242م، في جيش ضخم. وأخذها عنوة في شهر ربيع الأول من سنة 640، و"عاثوا فيها بقتل النساء والصبيان واكتساح الأموال". إلا أن المصادر تختلف في تحديد الجهة التي تمّ منها اقتحام المدينة (من باب إيلان أم من باب كشوط؟) كما تختلف في شهر هذا الاقتحام (صفر أم ربيع الأول؟) (انظر : ابن عذاري، **البيان المغرب** (قسم الموحدين)، ص 361 ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، 62-63 ؛ ابن خلدون، **العبر**، 95/7 ؛ **الذخيرة السنية**، ص 61) وفي **بغية الرواد**، (ص 205) تحرك أبو زكريا إلى تلمسان سنة 640 هـ/1242م. وينفرد التنسي (**نظم الدر والعقيان**، 117) بتحديد حصار تلمسان واقتحامها بسنة 645 هـ/1247-48 م روبار برونشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، 60/41).

(108) في ب : متغفلا.

(109) في النسختين : والشروب. والصحيح ما أثبتناه، وهي قنوات صرف الماء.

والمواضيع الغائبة، فإنهم كانوا سمعوا النداء بالإستباحة، وقالوا للأندلسي : اخرج. ودخل الشيخ أبو عبد الله، وولده، جدي، أبو عبد الله المذكور، المسجد. فلما دخل البلد، أخذ جهة مرسى الطلبة من وزرائه وخواصه، ابن أحجازير. فلما جاء إلى باب الدرب، جلس على دكانة بباب الدرب، وقال : انظروا من فيه. فعرف بالشيخ، فقال : سلوا عنه، فلا سبيل إليه، ولا لمن يليه. فقيل له : هو في المسجد. فقال : دعوه، ولا تتعرضوا له، ولا لداره. فدخل خدامه الدرب، وتفرقوا، والأندلسي في مصريته، فنقر أحد الخدام على المصرية، فأجابه الأندلسي، ونزل إليه بثياب بيض، وشاشية حسنة، على تودة، بقبقاب في رجليه، فقال له : من تكون؟ فقال : أندلسي تاجر. فقال له الخديم : تعالى إلى الشيخ وخبره. فقال لهم : الموحدون أنتم، ومن أين دخلتم، فهدّده أحدهم. فقال لهم : لا تهددوني، ولا نهددكم. جميع ما رزقني الله وأهل هذا الزقاق المغابن، في هذا الموضع، وأشار إلى موضع الأسباب. فاحتمل جميعها، وكانت فيه أموال لا تحصى كثرة، للشيخ أبو عبد الله المدخس[110]، وإخوته، وبني اللجام[111]، القاضي والخطيب[112] وإخوانهما، وابن حسون، وابن الجلاب، وغيرهم من أرباب الأموال الطائلة. قال عمي، رحمه الله تعالى، عن أبيه : إنه لم يسلم له إلا سلك كان بيده، وبطنية كانت على وسطه. فنعوذ بالله من الفتن، ومن المحن، ومن تقلبات الزمان.

ومن معاصريه، وهو في عدد مشايخه، العالم الصالح، الولي العارف، أبو زكريا يحي بن الصّيْقل[113]، إمام وقته زهداً وورعاً، صاحب كرامات وأحوال. أخذ في أول عصره، وفي شبيبة من عمره، ثم تخلى وتبتل، وكان أكثر ملازمته للمقابر والمساجد الخربة، خارج البلد[114]. وكان محدثا، انتفع به كثير من صلحاء تلمسان وعلمائها.

(110) سيرد لاحقا بصيغة "المرخس".

(111) في أ : اللحام.

(112) هو القاضي الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن اللجام القاضي المشهور بالعدل والصرامة في الحق (بغية الرواد، 118).

(113) ابن مريم، البستان، 305 ؛ بغية الرواد، 115-116.

(114) ويقول عنه يحيى ابن خلدون "لا يكاد يفارق القبور والمساجد توحشا من الخلق" (بغية الرواد، ص 116).

قفز إلى ص188

انتهت ترجمة الجد و تبدأ
ترجمة الوالد

وكان أكثر أصحابه ومعاشريه، رضي الله عنه، المنقطعون الواردون. حدثني والدي، رحمه الله، في وصية كان يوصي بها، قال : يا بني ! إذا أحدثت حادثا في هذا الدار، وبنيت فيها أشياء، فلا تغير عتبة هذا البيت، فإن كثيراً من أفراد الأولياء حط رأسه في هذه العتبة، وكم من ولي، ممن لا يعرفه إلا صاحب هذا الدار، قد دخل هذا البيت، فلا تغيره. نفع الله بهم أجمعين، وأعاد علينا بركاتهم، بفضل ربنا وإكرامه. وكذلك أوصاني على البئر، فقال لي : هذا البئر كان يفطر على مائه الأولياء.

وحدثتني خالة والدي، لما كانت حضرت السنين المعروفة، حين حصرها السلطان أبو يعقوب المريني[183]، كان سلطان تلمسان وإخوته لا يخرجون حتى يفطرون على مائه، ويزعمون أنهم يوم يفوتهم الفطر عليه، يجدون أثر ذلك، رحمة الله على الجميع.

أبو العباس أحمد ابن مرزوق، والد المؤلف (681-741هـ/1282-1340م)[184]

وأما مولاي الوالد، رحمة الله عليه، أحمد بن محمد، فأمه[185] -- وأم شقيقه عمي الحاج الصالح أبي عبد الله[186]، وعمتي زينب، ثلاثتهم -- فاطنة بنت الشيخ الصالح الأمين، الحسيب الأتقى، أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله، ابن النجار. قدم جده، عبد الله بن النجار، من مدينة مراكش المحروسة، وكان صاحب مال وثروة، فاستوطن تلمسان، بعد أن ذكر أنه توجه إلى مدينة تونس برسم استيطانها، ثم اختار تلمسان وطناً، وأولد أولاداً وحفدة فيها ؛ منهم : أبو زيد هذا، وكان وجيهاً سرياً موسعاً عليه، كثير الصدقات وأعمال البر، له جرايات على الطلبة وأهل الدين والخير، وكان يحترف بإقامة عمل الحاكة من الصوف الرفيع، التي كانت تلمسان تختص به[187]، واختص هو بذلك، فكانت له تربيعات

(183) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو، السلطان أبو يعقوب المريني بويع في غرة صفر سنة 685 هـ/29 مارس 1286م وقتل في ضحى يوم الأربعاء 7 ذي القعدة عام 706 هـ ودفن بشالة (**روضة النسرين**، 30-31 ؛ **روض القرطاس**، 374 ؛ **الإحاطة**، 356/4).

(184) العنوان من وضع المحققة.

(185) في ب : فإنه.

(186) الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق الشيخ بالعباد. ورد ذكره في **المسند**، ص 463.

(187) انظر المسند (ص 129) حيث يتحدث عن "ثياب الصوف التلمسانية الخالصة".

بموضعه من درب شاكر. وكان أكثر هذا الدرب له، ولعماله وخدامه. وكان له داخل الدرب، درب يختص به؛ فيه دوره ودور بنيه، والدور التي عيَّنَ لأبنائه. أدركت من دوره، الدار الكبرى، وتتصل بها دار تعرف بدار الإنجاصة، تتصل بها دار تعرف بالدار الجديدة، وهي مواضع سكناه الخاصة به. وتتصل بهذه الدور الثلاثة، دور آخر لأولاده وخدامه. وخارج هذا الدرب الصغير، درب كبير، إذا وقفت على أوله، تنطق على بعد إلى آخره. ولقد رأيته بهذه المدة خراباً، فسبحان مفني الخلائق وسيدهم.

وكان مقصوداً من البلد، ترده التجارة من كل بلاد. وملوك افريقية والمغرب، إنما يلبسون حينئذ ما كان يعمل بتلمسان من رفيع الصوف، فإنها اختصت بذلك[188]. وكان هو قد أنماها في ذلك.

حدثني الشيخ أبو العباس ابن القطان، وعمي، رحمهما الله تعالى، قال : بعث المستنصر[189] والأمير أبو حفص[190]، لصاحب تلمسان هدية تشتمل على ثياب رفيعة، قال : ووصل فيها إحرام ثماني العمل، عليه مكتوب : "بعثه الأمين فلان، أمين تونس، للأمين أبي زيد عبد الرحمان بن النجارس. قال : فنظر الإحرام، فوجده في أكمل عمل، لا يمكن أن يصنع أحسن منه، فقيل له : هذا قد قصد أن يريك غاية ما تنتهي إليه الإقامة من الكتان، ويقول لك : كيف يفضل هذا شيء ؟ قال : فأخذه ووزنه، فوجد فيه نحواً من خمسة أواقي ونصف، قال : فبعد زمان، جاء بإحرام كتب عليه : زمن ابن النجار للأمين فلان". فنظر فوجد يزيد طولا وعرضا نصف شبر، وينقص أوقية ونصف أوقية.

---

(188) يقول يحيى ابن خلدون عن الأراضي التي توسطتها تلمسان أنها ز منْجِبة للحيوان والنبات، كريمة الفلح، زاكية الإصابة، فربما انتهت في الزوج الواحدة بملاتة منها إلى أربعمائة مد كبير ... من البر، سوى الشعير والباقلاءس ويضيف قائلا : "إن غالب تكسبهم – [أهل تلمسان] الفلاحة وحوْك الصوف يتغايون في عمل أثوابه الرقاق... بذلك عرفوا في القديم والحديث ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا" (**بغية الرواد**، 90، 92).

(189) يقصد السلطان أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحيى بن الشيخ أبي محمد بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص الذي بويع بسلطانا بتونس في 3 رجب سنة 647 هـ خلفا لوالده السلطان أبي زكرياء الحفصي (الزركشي، **تاريخ الدولتين**، 69 وما بعدها).

(190) هو الأمير أبو حفص عمر بن أبي زكرياء الأول. بويع بتونس 24 ربيع الثاني 683 هـ/10 يوليوز 1284 م (ابن الشماع، **الأدلة البينة في مفاخر الدولة الحفصية**، ص 61، 80 ؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين**، 104-105).

حدثني عمي، رحمه الله تعالى، وقد ذكر اتساع حاله، أن قافلة وردت تلمسان من تونس، وكانوا يجلبون ثياب الكتان[191]، ويحملون ثياب الصوف، قال : فباعوا واشتروا، وأكثروا الشراء من عنده، وخرجوا مسافرين لتونس. فلقيهم بظاهر البلد تاجر ورد بمال يبلغ قدر ألف دينار من الذهب، برسم الرفيع من ثياب الصوف. فلما رآهم، أسف وحزن على التخلفْ دونهم، فدخل باكيا، فقصد إلى الشيخ أبي زيد، ليدله على موضع نزوله. فسأله عن حاله، فأخبره بأن له أطفالا ووالدة يحزنون دخول الناس عنده دونه، وأن القافلة لا تتصور إلا بعد طول زمان. فرقّ له، وقال له : أيّ شيء تريد أن تشتري؟ فقال له : الرفيع من الصوف، فإني جئت برسمه، ومتى يجتمع لي ما أريد؟ فقال له : ادخل معي إلى الدار. فدخل معه، فعمد إلى خزائن ففتحها، وقال له : اختر حاجتك. قال : فأخذ من خزانة واحدة، أو من اثنتين، ما أحتاج بما عنده من الذهب، وشد له، وانصرف، فلحق بأصحابه.

وحدثني الشيخ ابن القطان، والشيخ الرحال، الحاج أبو علي، ابن شيخ اللبن[192]، في آخرين، أن الموضع المعروف بمسجد إيلان، وهو اليوم داخل الربض، كان يطلع منه كل يوم حمل للبضع، من عمل الصوف، وهذا موضع من آحاد المواضع، فانظر هل تجد اليوم في ذلك الموضع، أو ما يجاورهم، عماراً، أو في البلد كلها ما يشترى به بأقل عدد. فسبحان مبيد الجميع، لا إله إلا هو، يفعل في ملكه ما يشاء، ويحكم ما يريد[193]. أوردت هذه الحكاية، والتي قبلها، مورد الاستبصار. وكان كثير الصدقات.

حدثني عمي، رحمه الله تعالى، أنه كانت له مطامير من قمح وفحم، وكان يعد اللحم المدخر، المعروف بالمسلي[194]، وبالخليع، والزيت. فاذا كان يوم الثلج،

---

(191) حول ازدهار صناعة الأقمشة الكتانية بتونس، انظر : روبير برونشفيك، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي**، ج 2، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت، 1988، ص 241.

(192) لم أقف له على ترجمة.

(193) إشارة إلى الآية القرآنية 5 من سورة المائدة.

(194) **المسلي** : هو اللحم المصبر أو المقدد (انظر المنتصر بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، تحقيق ودراسة لطفي عيسى وحسين بوجرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1998، ص 555.

فتح مطمورة من قمح وأخرى من فحم، ويتصدق بالزرع والفحم والإدام طول يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين.

وكان له كل يوم خبز الصدقة، وثياب في كل سنة، وقد تقدم طرف من حديثه. ويقال إن بني النجار دعا لهم جدهم، عبد الله، وكان صالحاً، ودعا له ولذريته باليسار والستر. فهم جماعة تجار ميسورون، فمنهم اليوم بتلمسان، ومنهم بمكناسة، ومنهم خَلَفٌ بفاس، وكان لهم بتونس من لم يعقب، وله الولادة على جماعة من أهل تلمسان.

وانجرت لنا بذلك قرابة كثيرة من جهة البنت، ومن جهة زوجته بنت ابن حسين؛ كبني إبراهيم بن علي العطار، وبني أبي تسنوسة، وقد انقرضوا، وآخرهم خيرهم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر، كان متبتلا خيراً منقبضا عن الناس، مشتغلا بنفسه، مات، رحمه الله تعالى، مغتالاً ظلماً في داره، أصبح مذبوحاً، والله أعلم بحقيقة أمره.

ومنهم بنو الرماح : الفقيه الخطيب، المدرس أبو الحسن. وولده الآن خير خلف؛ والعدل الخير، أبو سرحان مسعود، ابن الفقيه أبي العباس أحمد بن حسن المليلي، من عدول فاس اليوم.

وبنو الفقيه : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الدراج التلمساني[195]، ولد[196] بسبتة، وحفيده بها اليوم من خيار الطلبة العدول الأتقياء.

وبنو البياري : بمدينة فاس، منهم اليوم بالحياة، المؤذن الخير أبو زيد عبد الرحمن بن علي البياري، مؤذن بجامع القرويين، بفاس المحروسة ؛ ولأخيه أحمد عقب بفاس، وآخرين لم نذكرهم الآن.

---

(195) محمد بن أحمد بن عمر ابن **الدراج السبتي** (ت. 693 هـ) : الشيخ الفقيه القاضي المحدث. أصله من تلمسان ونشأ بسبتة في كنف صاحبها أبي القاسم العزفي. ولاه أبو يعقوب المريني قضاء سلا. له كتاب "**الامتاع والانتفاع في معرفة أحكام السماع**" (صدر بتحقيق الأستاذ محمد بن شقرون)، (الأنصاري، **اختصار الأخبار**، 21 ؛ **برنامج التجيبي**، 167 ؛ **درة الحجال**، 248/2).

(196) في أ : ولد توفي.

وممن ظهر من بني النجار : الفقيه، نخبة وقته، أبو عبد الله محمد بن يحيى[197]. وكانت له سيادة على أهل وقته في التعاليم والمعقولات، توفي بالطاعون[198] بتونس المحروسة، سنة خمسين[199]. وقد كان أعلم بوقت موته، وانتفع به جماعة من الطلبة، فكل ساد وظهر له علية مشيخة.

وأكبر الآخذين عنه، وأحسنهم طريقة، وأشدهم نظراً، أبو الحسن علي ابن الشيخ المكرم، أبي العباس أحمد، المعروف بابن الفحام[200]. فهو أعلم وقته

(197) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار التلمساني المتوفى سنة 749 هـ/1350 م وصفه المقري بـ "نادرة الأعصار". ترجمته في : **بغية الرواد**، 119 ؛ **رحلة ابن خلدون**، ص 91 ؛ ابن مريم، **البستان**، ص 153-154 ؛ **جذوة الاقتباس**، 190 ؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج**، 241 ؛ **نفح الطيب**، 236/5 ؛ ج 160/7-162 ؛ الحفناوي، **تعريف الخلف**، ج 573/2-574 ؛ **أزهار الرياض**، 51/5-53).

(198) يتعلق الأمر بالطاعون الأسود (أو الطاعون الجارف حسب وصف ابن خلدون له) الذي ضرب افريقية سنة 749 هـ/1348-49 والذي أودى بحياة عدد من شيوخ العلامة ابن خلدون، وبوالده. ونقرأ في كتاب التعريف لابن خلدون : "وكان في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من فضلاء المغرب وأعيانه، هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس، وغرق جماعة منهم في أسطوله لما غرق" (**رحلة ابن خلدون** ، 89)، وعانت منه افريقية مثلها مثل بلدان الحوض المتوسطي، وهناك من الروايات من تذهب إلى أن تونس كانت تفقد يوميا ألف شخص جراء هذا الطاعون. (ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق د. الطاهر بن محمد المعموري، تونس، 1984، ص 97-98). وقد كتب فيه الأندلسيون رسائل منها : "**مقنعة السائل عن المرض الهائل**" للسان الدين ابن الخطيب، وتحصيل و"**غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد**" لابن خاتمة... ومن الدراسات الحديثة العربية نشير إلى مقال أحمد السعداوي، "**المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته** (القرنين 8 و14/9 و15، مجلة *IBLA* ج 58، 1995 ؛ د. محمد الأمين البزاز، "**الطاعون الأسود بالمغرب في القرن 14م**"، مجلة كلية الآداب الرباط، العدد 16، 1991، ص 109-122، ودراسة مصطفى نشاط، **إضاءات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني**، م. س. ص 112-132.

(199) سنة تسع وأربعين وسبعمائة حسب **بغية الرواد** ص 119.

(200) يقول يحيى ابن خلدون في بغية الرواد بأن أبا الحسن علي بن أحمد ابن الفحام كان "أعرف أهل زماننا بفنون التعاليم... ظهر على يديه من الأعمال الهندسية المنجانة المشهورة بالمغرب فأتا به عنها ملوكه بألف من الذهب، مقسطة على عمال بلادهم في كل سنة" (**بغية الرواد**، ص 119. ومن بين منجزاته إحدى الساعتين الدقاقتين المائيتين المقابلة للباب الشمالي للمدرسة العنانية بالطالعة الكبرى من فاس، وصنعها بأمر من أبي عنان. وفرغ من علها يوم 14 جمادى الأولى عام 758 هـ/1357م. وكانت علامة الوقت بها أن تسقط كل ساعة صنجة في طست وينفتح طارق، فتحدث رنة تعلن بداية كل ساعة نهارية) .علي الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط 2، الرباط، 1991، ص 53 ؛ محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، 359).

الآن، والواحد في عصره في التعاليم، وأبعدهم عن الخوض فيما لا يعني، وأوقفهم مع الظواهر الشرعية، وله سلف صالح. سمعت هذا من والدي، ومن عمي، رحمهما الله تعالى، عن والده أحمد، كان يلي الشرطة والنظر في المظالم، وكنت إذا لقيته كأنك لقيت إمامَ مسجد سكوناً وعقلا. وكان لا يحدث في أيام ولايته إلا الخير، فيقولون : انتفع بسلفه. وأبو الحسن الآن مستوطن مدينة فاس، وما ظهر على يده من الأعمال معروف.

وأخذ عن أبي عبد الله بن النجار[201]، الفقيه المفتي، مشارك الوقت، الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني[202]. وسيأتي، إن شاء الله تعالى، ذكره؛ والفقيه القاضي، العدل المرحوم، أبو عبد الله المقري، قاضي مدينة فاس، المتوفى بها، ودفن بتلمسان[203]، وسيأتي، إن شاء الله ذكرهم، وغيرهم من علية

(201) محمد بن يحيى ابن النجار التلمساني، أبو عبد الله. المتوفى عام 749 هـ/1348م–49. ارتحل إلى المغرب فلقي بسبتة إمام التعاليم محمد بن هلال شارح المجسطي في الهيئة، وأخذ بمراكش عن أبي العباس ابن البنا ورجع إلى تلمسان بعلم كثير. واستخلفه السلطان أبو تاشفين بحضرته فلما هلك وملك أبو الحسن المريني نظمه في جملته، وحضر معه إفريقية، وهلك بالطاعون في سنة 749 هـ (**رحلة ابن خلدون**، 91-92 ؛ **جذوة الاقتباس**،1/302 ؛ **درة الحجال**، 2/264 ؛ **ألف سنة من الوفيات**، 200).

(202) أبو عبد الله محمد بن أحمد **الشريف الحسني** التلمساني (710-771 هـ). قال عنه ابن مريم في **البستان** : "كان إماما في العلوم العقلية كلها، منطقا وحسابا وتنجيما وهندسة وموسيقى وطبا وتشريحا وفلاحة وكثيرا من العلوم القديمة والحديثة" (من مؤلفاته : **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول** : دراسة وتحقيق محمد علي فركوس، المكتبة المكية، مكة المكرمة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1998، لما استولى السلطان أبو عنان المريني على تلمسان ألحقه بمجلسه العلمي، ثم صحبه إلى فاس حيث تألق نجمه وزادت شهرته. بعد وفاة أبي عنان ملك أبو حمو مدينة تلمسان فاستدعاه من فاس وزوجه ابنته وبنى له مدرسة للتدريس بها انظر : **بغية الرواد**، 20-21، 120 ؛ **رحلة ابن خلدون**، ص 105-106 ؛ ابن مريم، **البستان**، 164-184 **نيل الابتهاج** 308 ؛ **تعريف الخلف**، 1/106-123 ؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين**، 91 ؛ الونشريسي، **المعيار المعرب**، 12/224-225 ؛ **درة الحجال**، 2/269 ؛ **معجم أعلام الجزائر**، 139-140).

(203) محمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني (عُرف بالمقري الجد) : قاضي الجماعة بمدينة فاس وبتلمسان. حج ورجع لبلده وانقطع إلى خدمة العلم. فلما ولي أبو عنان السلطة جتذبه وولاه قضاء الجماعة بفاس، واستعمل في الرسالة. توفي بفاس سنة 759 هـ. ودفن بتلمسان. انظر : **الإحاطة**، 3/191-226 ؛ **المرقبة العليا**، 169-170 ؛ **جذوة الاقتباس**، ص299-300؛ **درة الحجال**، 2/43 ؛ **نيل الابتهاج** ؛ 420-427 ؛ **البستان**، ص 154-164 ؛ **رحلة ابن خلدون**، ص 102-103 المقري، **أزهار الرياض**،5/12 وما بعدها ؛ **نفح الطيب**، 5/203-250 ؛ **شجرة النور**، 232 ؛ **سلوة الأنفاس**، 3/271-273 ؛ **تعريف الخلف**، 2/500-509).

الطلبة. وكنت أنا، أقل الآخذين عنه نجابة، رحمة الله عليه. وكان والدي، رحمه الله، يحبه، إلا أنه كان ينفر عنه لموجب أوجب ذلك، عفا الله عنه. وكان من الخاشعين المعترفين بالذنوب، الذين لم يعثر لهم قط على ما يشين، أو يطعن فيه شيئا، رحمة الله عليه.

وَوُلِد والدي، رحمة الله عليه، في الليلة الثلاثين من المحرم، سنة أحد وثمانين وستمائة، وربي تحت حجر جدته. فلما توفيت، وهو صغير، كفلته أخته زينب، فكان معها. وخرج أخوه عمي، رحمه الله تعالى، للحج وخلفه صغيراً، وجال في البلاد، وبقي مع أخته، إلى أن خرج في أثناء إحصار تلمسان الحصار الطويل، الذي بلغ مقدار تسع سنين[204]، أخرجه بعض أصحاب والده من سور تلمسان، وكان سلطانها يبعث إليهم ما يحتاجون إليه، فيتورع، هو، رحمه الله تعالى، على صغره عنه. فانظر من لا يبالي في كبره، وبعد شيبه، من أين يأخذ، ردنا الله إليه. فبقي بموضعه من العباد يقوم به بعض خدام والده، إلى أن جرت له حكاية، رأيت ذكرها هنا[205]، وهو أنه كان له رجل من خدام والده، يتردد إليه بالمرافق للبلد، وهي محصورة، ويبعث، هو، لأخته ولخاله بعض المرافق. وكان السلطان أبو يعقوب، قد هدر دم من يوجد داخلا، أو عرف منه ذلك، أو وافق عليه، أو علم به، ولم يرفعه. وقتل على ذلك خلقا من كبار بني مرين، وغيرهم[206]. فخرج خارج يوماً، فأُتبع وسقط له كتاب عنوانه : يدفع بيد أحمد بن محمد ابن مزوق. وباطنه من خاله إليه، يعرف أنه وصله وعاء السمن الذي بعثه له يوم كذا، وقبله كذا، وبعده كذا، مع الذي عوايده أن يصل. فعند ما قرأ القارىء الكتاب بين يدي السلطان، غضب السلطان غضبا شديداً، وقال : وجلوسنا نحن بلا فائدة؟ أين هذا؟ فقيل له : بالعبّاد، وهو ابن فلان. فقال : عليّ به، ولو كان من كان. قال لي والدي،

(204) ضرب السلطان أبو يعقوب الحصار على مدينة تلمسان عام 698 واستمر الحصار قائما ثماني سنين وثلاثة أشهر إلى أن تم اغتيال السلطان يوم 7 ذي القعدة من عام 706 هـ وقرر خليفته السلطان أبو ثابت رفعه. وقد خلف هذا "الحصار الأكبر" عددا من الموتى من أهل تلمسان "تتلا وجوعا" قدرهم يحيى ابن خلدون بزهاء مائة وعشرين ألفا. (**روض القرطاس**، 386 ؛ **بغية الرواد**، 211 ؛ **نظم الدر والعقيان**، 130-135 ؛ **العبر**، 111/7، 261).

(205) وانظرها كذلك في **البستان**، ص 27-28.

(206) يؤكد عبد الرحمان ابن خلدون أن السلطان المريني كان "ينزل أشد العقاب والسطو بمن يميرها ويأخذ بالمرصاد من يتسلل بالأقوات إليها" (العبر، 262/7).

الانتقال إلى ص298

آخر ترجمة الوالد
وبداية ترجمة المؤلف
لنفسه

وخلف بناته، تزوج الفقيه القاضي، أبو زيد عبد الرحمن بن يوسف، بن عبد الرحمان[580] بن زاغ، واحدة، وأخوه الفقيه أبو عمر ميمون أخرى، وكانت هي الكبرى ؛ وابن أخيه، خالي، أبو عبد الله، المتقدم الذكر، أخرى ؛ ووالدي تزوج أخرى، وهي أم أختي، المتقدم ذكرها، تزوجها بعد وفاة والدتي ؛ وتزوج الفقيه أبو العباس أحمد بن القاضي أبي عمران الزرهوني، أخرى؛ وهي اليوم بقيد الحياة، من خيار الصالحات، مستوطنة بفاس المحروسة، أمتع الله بحياتها وبركتها.

وتاريخ وفاته مكتوبا[581] على قبره بتلمسان، حذاء قبر أخيه بالعباد، رحمه الله تعالى، وانجرت لي قرابة كثيرة من جهته، رضي الله عنه.

خاتمة لهذا التعليق، أذكر فيها، إن شاء الله، مولدي وتاريخ رحلتي، واستطاني، وبعض من لقيت من الأولياء، ذكرا جميلا.

كان مولدي، أجمل الله الخاتمة، وحسن العاقبة، في أوائل ذي قعدة سنة إحدى عشر، وقيده بعضهم سنة إثني[582] عشر وسبعمائة[583]، بتلمسان، في دارنا المعروفة لنا بمرسى الطلبة. وحملت بي أمي بمدينة فاس، بدارنا التي بزنقة حجامة[584]. فقرأت كتاب الله على شيخنا، الفقيه الصالح، الولي أبي زيد عبد الرحمان بن يعقوب بن علي، المتقدم الذكر[585]، بمكتبه بسويقة إسماعيل[586] ؛ وكان من خيار الصالحين الفضلاء، أرباب القلوب. وقد ذكرته في برنامجي. وكان أصح خلق الله باطناً، وله كرامات.

---

(580) سماه سابقا : عبد الرحمان بن يوسف بن **علي** بن زاغ.

(581) ب : مكتوب.

(582) في النسختين : إثنا.

(583) يذكر ابن خلدون أن ابن مرزوق أخبره بأن مولده سنة 710 هـ. ويجعل ابن مريم ولادته آخر سنة 710 هـ (ابن خلدون، **رحلة ابن خلدون**، 94 ؛ **البستان**، 184).

(584) زنقة حجامة : توجد في الزنقة التي تحت باب المدرسة المصباحية في الداخلة في الدرب (ابن عيشون، **الروض العطر الأنفاس**، ص 277).

(585) لم يتقدم ذكر له. ولعله أبو زيد بن عبد الرحمان بن يعقوب بن علي الصنهاجي، المكتب (**أزهار الرياض**، 58/5).

(586) هي إحدى السقايات التي بناها السلطان أبو الحسن المريني بتلمسان (**المسند**، 417).

حضرته يوماً، وقد جاءه ضعيف يشتكي جوعه وجوع عياله، وكانت سنة مجاعة، فأمر من جاء من الفرن بخبز عياله، وأهل داره، فرفع الضعيف جميعه، فخرج ولده يشتكي الجوع، ووقفتْ الخادم تشتكي جوع أهل الدار، فقال لها : ذهب بخبزكم من هو أشدّ حاجة منكم، وسيأتيكم، إن شاء الله، أكثر وأطيب. فما استتم كلامه إلا ومائدة كبيرة تشتمل على أطعمة مختلفة، بعثها إليها القائد هلال[587].

وكان، رضي الله عنه، لا يمسك شيئا بداره، وكانت داره زاوية للوارد. ودخلت إليه في ليلة اليوم الذي مات فيه، وقال لي : رأيت هذا كله– وأشار إلى بلد منصورة تلمسان[588] ونواحيها– عن قريب يتلف جميعه، وتتغير أشكال ما تراه، لا إله إلا [هو[589]]، ماذا ترى من العجائب؟ وماذا تحتفر من المقابر؟ وأما أنا فراحل. فلما كان من الغد، مررت بمنزله، فدخل إليه ولده الفقيه العدل، أبو يوسف يعقوب، ومضيت أنا على حالي، فلحقني وأخبرني بوفاته، وأنه أكل طعاما، ثم قام واغتسل[590]، وتنفل على سجادة له، واستقبل، فقضى، نفعه الله. وقبره عند قبر أبيه، رحمهما الله عز وجل.

---

(587) **هلال بن عبد الله** (حاجب السلطان أبي تاشفين) : أصله من سبي النصارى القطلونيين، لذا يسمى أحيانا "هلال القطلاني". أهداه السلطان ابن الأحمر إلى عثمان بن يغمراسن وصار إلى السلطان أبي حمو، فأعطاه ولده أبا تاشفين فيما أعطاه من موالي ونشأ معه تربيا، وكان مختصا به بالمداخلة والدالة. ولما ولي أبو تاشفين استوزره وولاه على حجابته. وكان مهيبا فظا غليظا، فقعد مقعد الفصل ببابه وأرهب الناس بسطوته، فاستولى على أمر السلطان. حج سنة 724 هـ ولقي في طريقه بمصر سلطان مالي منسى موسى. ولما عاد من حجه لم يجد مكانه من السلطان، فقبض عليه سنة 729 هـ وأودعه سجنه فلم يزل معتقلا إلى أن هلك من وجع أصابه قبيل فتح تلمسان ومهلك السلطان بأيام (ابن خلدون، **العبر**، 135/7 ؛ **بغية الرواد**، 214-215، 217).

(588) **منصورة تلمسان** : تعرف أيضا بمنصورة فقط، ملكية بظاهر تلمسان، شرع في بنائها السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 702 هـ، كانت من أبهى الحواضر الملكية وأجملها في العصر المريني، وبها كان يستقر ملوك بني مرين ورجال مخزنهم عند مجيئهم إلى تلمسان مسالمين أو محاربين وقد خربها سلاطين تلمسان العبدلواديين الزناتيون تشفيا وانتقاما (**جذوة الاقتباس**، 63).

(589) أ : الله.

(590) أ : استسل.

فقرأت عليه، وعلى الخطيب [أبي محمد عبد الله[591]] بن عبد الواحد المجاصي[592]، وقد تقدم ذكره؛ وعلى الفقيه، الحاج الصالح، أبي عمر ميمون بن سعيد السرغيني، من بلاد جناتة؛ والسراغنة يدعون الشرف، وقد رأيت للمؤرخ الحافظ ابن سعيد[593]، ما يصحح دعواهم. وكان هذا السيد ميمون، من الأولياء الصالحين، انتفع ببركاته خلائق، وجمع كتاب الله عليه، ما يزيد على نحو من الستين، وكتب أسماءهم، وأوصى أن يدفن معه ذلك المكتوب، وكان قد قرءا معاً على الفقيه الأستاذ أبي عبد الله الشعبي، وعلى الأستاذ أبي مهدي عيسى الجناتي، وكانا من الكبار، وعلى غيرهما.

وقرأتُ كتاب الله، أيضاً، على مولاي والدي. وقد ذكرت في برنامجي من قرأت عليه القراءات وغيرها، وإنما أذكر هنا بعض الأولياء عند ذكر الرحلة والاستيطان.

فرأيت من الأولياء في صغري بتلمسان خلائق، منهم : الفقيه العلامة، الولي المحدث، أبو عبد الله محمد بن علي بن قطرال[594] ؛ وكان من كبار الأئمة المحدثين المشاهير، والإمام أبو عبد الله بن حريث العبدري[595]، وأبو عبد الله القصري[596]، المقرىء الولي؛ والحاج الصالح، أبو عبد الله المصمودي، وكان

(591) في أ : أبي عبد الله.

(592) انظر هامش 176.

(593) هو أبو الحسن بن سعيد العبسي المشهور بابن سعيد المغربي، المؤرخ الأندلسي المعروف، المتوفى بتونس سنة 685 هـ/1286 م، مؤلف (مع بعض أفراد عائلته) كتاب "**المغرب في حلى المغرب**" و"**اختصار القدح المعلى**" و"**الغصون اليانعة**"، و"**بسط الأرض في الطول والعرض**" (أو كتاب الجغرافية)، وغيرها من المؤلفات الأدبية والجغرافية والتاريخية وقد أحال عليه ابن مرزوق في الفصل المخصص لنسب المرينيين من كتاب **المسند**، ص 107.

(594) أبو عبد الله محمد بن علي بن قطرال الأنصاري. من أهل مراكش. كان عالما فاضلا فقيها محدثا زاهدا ورعا. جاور بمكة وبها توفي سنة 710 هـ/1310 م إثر سقوطه من سطح رباط الخوزي. (**الدرر الكامنة**، 202/4 ؛ ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، ج 2 ص 207.

(595) انظر الترجمة التي أفردها له عبد الله ابن فرحون المالكي، **نصيحة المشاور وتسلية المجاور**، م. س.، ص 88-89 ؛ **درة الحجال**، 248/2 ؛ ورد ذكره عرضا في؛ **أزهار الرياض**، 59/5.

(596) أبو عبد الله محمد بن غصن القصري الأنصاري، "عالم زمانه بالقراءات" (ترجمته في : ابن فرحون المالكي، **نصيحة المشاور وتسلية المجاور**، م. س. 90-93، ص ورد ذكره كذلك عرضا في **أزهار الرياض**، 59/5 وهو غير الفقيه العالم العارف العابد الزاهد الولي أبو عبد الله بن علي القصري الذي ترجم له الغبريني في **عنوان الدراية**، ص 186.

من أولياء الله الصادقين، توفي في صحراء خليص، منصرفه من الحج، سنة أربعة وعشرين، وغيرهم.

وكانت الرحلة الأولى، سنة أربع وعشرين[597]، في شهر ربيع الأول، في ركب كان المقدم عليه الشيخ أبو زكريا يحيى بن عمر بن جدار العبدلوادي، مستوطن فاس، وكان خيراً ؛ رافقنا فيه من أهل فاس، الفقيه العدل، أبو حاتم محمد بن محمد المغيل. ومن أهل طنجة، الفقيه الشريف، أبو عبد الله الجراوي. ومن أهل تلمسان، الفقيه، أبو عمرو ميمون بن يوسف بن عبد الرحمان بن زاع، وابن يحيى أبو بكر بن عبد الواحد المقري، صهري[598]. ومن أهل مليانة، الفقيه، القاضي الصالح، ابن زكرياء يحيى بن محمد، وميمون الفاروندي[599].

ودخلنا بجاية المحروسة، فلقينا بها من الأولياء خلائق، أبا علي ناصر الدين[600]، وقرأت عليه، وأبو عبد الله بن غيريون[601]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بختي[602] الزواوي[603]، من الفقهاء ؛ والولي أبو إسحاق الأليسي[604]،

(597) هذا التاريخ يصحح كثيرا من التواريخ الأخرى الواردة في بعض المصادر (مثلا : **البستان**، 184؛ **رحلة ابن خلدون**، 94).

(598) لم أعثر على ما يفيد بعلاقة ابن مرزوق بالمقري في هذا العهد. إلا أن المقري يقول، بعد حديثه عن بني مرزوق وأوليتهم في العلم بتلمسان : "لهم على جدنا أحمد ولادة، فإن أم جدي أحمد المذكور، بنت الفقيه العلامة، سيدي محمد بن مرزوق، المعروف بالكفيف" (**أزهار الرياض**، 342/4).

(599) أ : الفاروبري.

(600) أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي الزواوي (ت. سنة 731 هـ). الإمام الفذ والعالم المتفنن الحافظ المجتهد النوازلي المشاور. له رحلة إلى المشرق. له مشاركة في علم المنطق وعلم العربية. من أهل الشورى والفتيا، وله شرح على رسالة ابن أبي زيد لم يستكمله. انظر : **عنوان الدراية**، ص 230/229 ؛ **نيل الابتهاج**، ص 609 (نقلا عن رحلة التجيبي ورحلة العبدري) ؛ **نفح الطيب**، 359/5 ؛ **شجرة النور**، 217-218).

(601) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن غريون، أبو عبد الله الأنصاري البجائي. عالمها وخطيبها في وقته. تتلمذ عليه جماعة من علماء المغرب الأوسط وإفريقية، ووصفه تلميذه الحضرمي بـ"شيخنا الخطيب الصالح". وقال عنه ابن قنفذ القسنطيني في وفياته : "خطيب قصبة بجاية، المتمتع بالرواية، السالك مسلك الدراية" (**نيل الابتهاج**، 386؛ **ألف سنة من الوفيات**، 77، 185 ؛ **تعريف الخلف**، 512/2).

(602) كذا في النسختين. وفي **نفح الطيب** (ج 395/5) : يللبخت

(603) وصفه ابن مرزوق في برنامجه "**عجالة المستوفز**" بـ "الحافظ فقيه زمانه" (**نفح الطيب**، 395/5).

(604) أ : الألسي.

والولي أبو زكرياء الصفوني؛ ومن الفقهاء أيضا، أبو عبد الله المسفر[605]، وأبو محمد عبد الواحد بن الكاتب[606] ؛ وأبو عبد الله بن ميدمان؛ وأبو عزيز، وأبو موسى بن فرقان[607] ؛ وأبو علي بن حسين[608]. وتأخرت وفاة هؤلاء الثلاثة، فلقيتهم[609] في مرات، وأبو العباس ابن عمران[610]، كذلك، وأبو موسى عمران المشَدَّالي[611]، وغيرهم من العلماء. وكانت دار علم، وحضرة فقه ودين.

ولقيت بقسنطينة، مع والدي رجلا، لا أعرف الآن اسمه، من الصلحاء. ومن الفقهاء قاضيها، وأشك في أبي عزيز، هل كان في قدمتي الأولى بقسنطينة، أو ببجاية.

ولقيت بتونس، حرسها الله تعالى، من الصلحاء أبو عبد الله الزبيدي[612]، وسيدي أبي[613] الحسن الخطاب، وغيرهم. ومن الفقهاء، قاضيها أبو إسحاق بن

---

(605) أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي البجائي، عرف بالمسفر. عالمها وفقيهها وقاضيها. توفي سنة 743 هـ/1342 م (**نيل الابتهاج**، 401-402 ؛ **الديباج**، 332 ؛ **البستان**، 227 ؛ **أزهار الرياض**، 69/5 ؛ **نفح الطيب**، 250/5 ؛ **شجرة النور**، 219).

(606) عبد الواحد الكاتب المعروف بأبي دينار، نال مع الأمير المستنصر الحفصي فوق ما ينال (**عنوان الدراية**، 152).

(607) ورد ذكره في **نفح الطيب** (ج 250/5) بصيغة " ابن فرجان"، هو والشيخ أبو عزيز ضمن شيوخ المقري الجد) .وانظر كذلك : **أزهار الرياض**، 70/5).

(608) أبو علي حسين بن حسين، إمام المعقولات بعد ناصر الدين (**نفح الطيب**، 250/5 ؛ **أزهار الرياض**، 69/5).

(609) أ : ولفيتهم.

(610) أبو العباس أحمد بن عمران، خطيب بجاية (**نفح الطيب**، 250/5 ؛ **أزهار الرياض**، 69/5).

(611) أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي. الحافظ المدرس المفتي بتلمسان.ت 745هـ/1344م / أخذ عنه صهره الناصر المشدالي والإمام المقري. له رسالة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة، وفتاوى كثيرة، نقل الكثير منها الونشريسي في معيار. (ابن مرزوق، **المسند**، ص 131، 268 (المشذالي، بالذال)، **بغية الرواد**، 162، 130 ؛ **البستان**، 294 ؛ **نيل الابتهاج**، 350 ؛ **نفح الطيب**، 223/5، 218-224 ؛ **توشيح الديباج**، 160 161 ؛ **شجرة النور**، 220 ؛ **تعريف الخلف برجال السلف**، 78-80 ؛ **ألف سنة من الوفيات**، 196. وانظر : رابح بونار : "**عبقرية المشذاليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر**"، مجلة الأصالة، (الجزائر) العدد 19، 1974، ص 304-316).

(612) محمد بن حسن (أو حسين) بن عبد الله القرشي الزبيدي، أبو عبد الله. العالم الصالح الزاهد النسابة. قال فيه ابن خلدون : "كان كبير تونس لعهده في العلم والفتيا، وانتحال طرق الولاية التي ورثها عن أبيه حسين وعمه حسن الوليين الشهيرين". توفي عام 740 هـ/ 1339 م (ابن مرزوق، **المسند**، 263 ؛ **نيل الابتهاج**، 396 ؛ **البستان**، 156 ؛ **رحلة ابن خلدون**، 61 ؛ ابن بطوطة، الزركشي، **تاريخ الدولتين**، 109 ؛ **نفح الطيب**، 239/5 ؛ **أزهار الرياض**، 54/5).

(613) أ : أبو.

عبد الرفيع[614]، وأبو عبد الله بن الغماد[615]، وأبو علي بن قداح[616]، وجماعة، ذكرت أسماءهم في برنامجي ومروياتي[617].

وبثغر الإسكندرية جماعة، منهم : سيدي داود[618]، وسيدي ياقوت[619]، وسيدي أبو عبد الله الفاسي[620]، وسيدي أبو الحسن العربي، وسيدي أبو عبد الله المرسي، وسيدي أبو زكرياء الزواوي. ومن الفقهاء خلائق، كالعماد الكندي، والفاكهاني[621]،

---

(614) إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي، قاضي القضاة بتونس، يكنى أبا إسحاق. له كتاب "معين الحكام"، وهو كتاب "كثير الفائدة غزير العلم". وله "الرد على ابن حزم" في اعتراضه على مالك وله "اختصار أجوبة القاضي أبي الوليد بن رشد" و"ثبوت الشرف من قبل الأم" وغيرها. توفي سنة 733 هـ/1333 م (**الديباج المذهب**، 271/270/1 ؛ **توشيح الديباج**، 79-80 ؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين**، 113-114 ؛ **برنامج ابن جابر الواديآشي**، 45 ؛ **ألف سنة من الوفيات**، 78 ؛ **شجرة النور**، 207.

(615) لعله ابن الغماز أبو عبد الله محمد الأنصاري الخزرجي البلنسي الأصل، وكان أبوه أحمد قاضي الجماعة بتونس (**رحلة ابن بطوطة**، ج 168/1).

(616) الفقيه المفتي أبو علي عمر بن علي بن قدّاح الهواري ت. 734 هـ/1334 م، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج 3، ص 179 ؛ ورد ذكره في **رحلة ابن بطوطة**، ج 168/1).

(617) ذكر منهم في "**عجالة المستوفز**..." محمد الهواري، ومحمد القفسي، وأبي موسى هارون، وأبي عبد الله التلمساني، ومحمد بن هارون، ويحيى بن عصفور، وأبي محمد بن البراء.

(618) لعله داود الشاذلي الإسكندراني تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي (**الدرر الكامنة**، 100/2-101).

(619) ياقوت بن عبد الله الحبشي القرشي، تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي المشهور. توفي بالإسكندرية سنة 1332/732م (**الدرر المكنونة**، 408/4 ؛ السيوطي، **حسن المحاضرة**، ج 1، ص 454).

(620) الشيخ الصالح أبو عبد الله الفاسي. يقول عنه ابن فرحون أنه ارتحل إلى الإسكندرية وأدرك بها من أهل العلم والصلاح والأئمة جماعة كثيرين فصحبهم... توفي عام سبعة وأربعين وسبعمائة بالمدينة المشرفة) (ابن فرحون المالكي، **نصيحة المشاور وتسلية المجاور**، م.س.ص 140، ويقول ابن بطوطة : "زيذكر أنه كان يسمع رد السلام عليه إذا سلم من صلاته" (رحلة ابن بطوطة، ج 1، ص 186).

(621) هو عمر بن أبي اليمن، علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي، الشهير بتاج الدين الفاكهاني. يكنى أبا حفص الإسكندري. فقيه متفنن في الحديث والفقه والأصول والعربية والأدب. له "شرح العمدة" في الحديث و"شرح الأربعين للنووي" سماه "المنهج المبين في شرح الأربعين" وله "الإشارات" في العربية وغيرها. توفي في الإسكندرية سنة 734 هـ (**الديباج المذهب**، 82-81/2 ؛ **الدرر الكامنة**، 254/3-255 ؛ **بغية الوعاة**، 221/2 ؛ **شجرة النور**، 204.

ومن القضاة[622]، ابن منير[623]، وتكرر لقاؤهم، وذكرتهم في برنامجي ؛ وغيرهم من العلماء.

وفي القاهرة خلائق، كشيخ الشيوخ، علاء الدين الغزنوي[624]، وسعد الدين الحزاري، وأبي الحسن الواني، وجماعة. ومن العلماء المحدثين جماعة، كقاضي القضاة، بدر الدين ابن جماعة[625]، وغيره، ممن سميته ورويت عنه.

وفي مكة من ذكرت، فأقمنا بمكة بعد وقفنا وقفة الثلاثاء[626]، سنة كاملة، ثم رحلنا إلى المدينة، فأقمنا فيها إلى آخر سنة ثمان وعشرين، نحج فيها كل سنة، وأدركت بها خلائق، نفع الله بهم. فوقفنا يوم الجمعة، وبعد تمام الحج، توجهنا إلى بيت المقدس، فلقيت فيها أعلاماً، وتوجهنا إلى الخليل كذلك، ثم قدمنا على القاهرة المحروسة، فرويت إذاك على جماعة، وكذلك بثغر الإسكندرية المحروسة، وعدنا إلى المغرب سنة تسع وعشرين، على بلاد الجريد، فأقمنا بتلمسان إلى سنة أربع وثلاثين، فعدنا إلى الحجاز، أيضاً على بلاد الجريد، فأقمنا في القاهرة المحروسة، إلى آخر سنة ست وثلاثين. وفي سنة سبع وثلاثين، عدت إلى المغرب، وأقمت بتلمسان أخطب بالعباد، وأدخل في داخل البلد، بمسجد مرسى الطلبة، من مسجد ابن النعمة، وبمسجد سويقة إسماعيل، وغيرها، وأتردد إلى مجلس السلطان، رحمة الله عليه، ثم رحلت سنة أربعين، إلى فاس المحروسة، في كرتين، ولمدينة سلا المحروسة، صحبة السلطان المرحوم، أبي الحسن المريني.

---

(622) أ : القاضي.

(623) أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن شرف الدين بن المنير. أخذ عنه عميه ناصر الدين وزين الدين (ترجمتهما في شجرة النور، 188 وترجمة زين الدين في **رحلة العبدري**، ص 100-108؛ **حسن المحاضرة**، 273/272/1. وغيرهما وعنه جماعة منهم ابن مرزوق الجد. ولد سنة 651 وتوفي سنة 736 هـ. ذكره ابن مرزوق في برنامجه "**عجالة المستوفز**" ووصفه بـ "القطب الحافظ" (**نفح الطيب**، 394/5 ؛ **شجرة النور**، 205).

(624) كذا في النسختين. ولعله علاء الدين "القونوي" المذكور ضمن شيوخ ابن مرزوق الذين التقاهم في القاهرة. ويصفه بشيخ الشيوخ (**المسند**، ص 266، 273). وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل القونوي. الفقيه الشافعي المتوفى سنة 729 هـ (**الدرر الكامنة**، 24/3-28).

(625) بدر الدين بن جماعة، قاضي القضاة بالقاهرة، شافعي المذهب، توفي سنة 733 هـ/1333م (**حسن المحاضرة**، 366/1 ؛ ذكره ابن مرزوق في **المسند**، ص 483).

(626) أ : الثلاثة.

ثم رحلت أيضاً سنة إحدى وأربعين، فشاهدت[627] واقعة طريف[628] في خدمة السلطان المرحوم أبي الحسن، رحمة الله عليه، وباستدعائه، ثم عدت إلى تلمسان، فأقمت فيها أشهراً، ثم استدعاني أيضاً، رحمة الله عليه، لخدمته؛ فأقمت في خدمته أتولى الخطابة، والنظر في الشكايات في أوقات، وألازم مجلسه وحضرته، وعاملني بما يثيبه الله عليه في الآخرة.

ورحلت، في صحبته، إلى مراكش، على بلاد السواحل، حين قصد الزيارة، ثم عدت صحبته إلى تلمسان، فأقمت في خدمته، ولازمته بمقصورة تلمسان، إلى أن رحلت صحبته إلى تونس، قاصداً الحج، فمنعني من ذلك، فحلفت ألا أقيم، فحمل جهلي وجفائي[629]، رحمه الله تعالى.

ووافقت ورود [ابن] السلطان، أبي عمر[630]، من بلاد النصارى، وورد عليّ كتاب السلطان المرحوم بملازمته، فلازمته إلى أن وصلنا[631] قسنطينة المحروسة، فوافقنا فيه ورود الخبر بواقعة القيروان[632]، فبقينا فيها إلى أن ثارت قسنطينة المحروسة وانتقضت[633]، فوجهت منها إلى بسكرة[634] المحروسة، فأقمت فيها

---

(627) أ : شهدت.

(628) وقعة طريف تسمى في المصادر القشتالية (*Batalla del Rio Salado*) المعركة البحرية الحاسمة التي انهزم فيها المرينيون يوم 7 جمادى الأولى سنة 741 هـ/6 اكتوبر 1340م ويقول ابن مرزوق أنه "كان الواقع فيها جللا والخطب عظيما" (**العبر**، 7/310-311 ؛ **نفح الطيب**، 1/451 ؛ **المسند**، 390، 225-391؛ **الإحاطة**، 2/180 ؛ رشيد السلامي، "طريف"، معلمة المغرب، ج 17، ص 5748-5751).

(629) هو أبو زيان عريف بن يحيى بن عثمان السويدي الزغبي جليس السلطان أبي الحسن وأنيسه. ويورد ابن مرزوق نفس المعطيات مفصلة في **المسند**، 494.

(630) في الأصل : ورد السلطان أبي عامر. وهو الأمير أبي عمر تاشفين ابن السلطان أبي الحسن. وكان قد وقع أسيرا في معركة طريف. وتم تكليف ابن مرزوق بمفاوضة القشتاليين على ابرام معاهدة الصلح وفداء الأمير الأسير الذي كان قد "أصابه مسّ من الجنون" خلال مدة أسره. وقد نجح ابن مرزوق في هذه المهمة ورجع بأبي تاشفين مع طائفة من زعماء النصرانية ؛ جاءوا في السفارة عن ملكهم. (**المسند**، 467، 495 ؛ ابن خلدون، **العبر** 7/329).

(631) أ : وصلت.

(632) انهزم السلطان أبي الحسن في القيروان في شهر محرم 749 هـ / أبريل 1348م.

(633) حول انتفاض قسنطينة وغيرها من "الثغور الغربية" انظر : **العبر**، 7/328-330.

(634) **بسكرة** : بلدة تقع بنواحي الزاب، وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات، أهلها علماء على مذهب أهل المدينة ، وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل (ياقوت، **معجم البلدان**، 1/422).

أشهراً في راعية الشيخ، أبي يعقوب بن مزني[635]، فعامل بما لو دوّنت فيها الدواوين لما استوفيت عُشر ما عامل به من الفضل، حتى أنساني أهلي وولدي ووطني، جزاه الله خير الجزاء، وبلدنا[636] ذخيرة لنا.

ثم لما بلغ الخبر بخروج السلطان المرحوم، من القيروان إلى تونس، تجردت في فرسان وتوجهت نحوه، وقاسيت أموراً عظيمة وشدائد، سهلها الله علي، بورودي عليه، رحمة الله عليه، ثم إنه وجهني إلى محلة ولده عبد الله الصغير[637]، ومن معه من كبار بني مرين، والشيخ أبي زيان عريف بن يحيى[638]، خاصته، فخرجت من تونس أيضاً مجرداً في فرسان من المرابطين، ووجه صحبتي ابن ناصح، مملوكه[639]، فأدركتهم بين مقرة[640] والمسيلة[641]. فرجعت معهم، ومعنا شيوخ رياح، وأهل الوطن، فلحقنا بتونس[642]. ثم اقتضى نظره أن وجه ولده، الأمير أبي الناصر[643]، فوجهني في موافقته لمحاولة خروج أولاده من

(635) هو عامل منطقة الزاب وأميرها (**العبر**، 329/7 ؛ المسند، 496).

(636) ب : بلده.

(637) هو الأمير أبو عامر عبد الله (**المسند**، 496 ؛ وانظر كذلك **العبر**، 328/7 حيث يشير إلى "ابن صغير من أبناء السلطان" وفد على قسنطينة على رأس "عسكر من أهل المغرب".

(638) عن هذا الوزير انظر: **المسند**، 367، وتجيد المعطيات المشار إليها في المتن في : **المسند**، 496.

(639) هو وزيره عبد الواحد بن ناصح. ورد ذكره في **المسند**، ص 206، 207، 467.

(640) **مقرة** : اختلف في ضبطها : مَقْرة أو مَقَرّة. ويبدو أن مَقرّة هو الضبط الأرجح. فالمقري صاحب نفح الطيب الذي ينتسب إليها يقول في مطلع أرجوزة له (مقدمة **روضة الآس العاطرة الأنفاس**، تصحيح عبد الوهاب بن منصور، الرباط 1960) :

أحمد الفقير المقــري المغربي المالكي الأشعري

وقد ذكر أنها مدينة لها حصون كثيرة، والمدينة العظمى مقرة أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر. ووصفها ياقوت بأنها مدينة في المغرب قريبة من قلعة بني حماد بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ (**معجم البلدان**، مادة مقرة، **نفح الطيب**، ...).

(641) **المسيلة** : مدينة بالمغرب تسمى بالمحمدية، اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي سنة 315هـ.

(642) انظر : **المسند**، 496.

(643) لم يرد ذكر هذا الأمير في المصادر. ويفترض ليفي بروفنسال – خطأ – أنه أبا علي عمر، ابن السلطان أبي سعيد المريني. ولعله الأمير أبو علي الناصر الذي ورد اسمه مرارا في المسند ويوصف بالصلاح والتقوى (**المسند**، 234، 366، 496 ؛ وقد وجهه والده السلطان أبي الحسن إلى المغرب الأوسط لإرجاع مناطقها إلى الطاعة. إلا أن جيوشه منيت بالهزيمة في بسكرة. انظر كذلك : **العبر**، 335/7-336).

Lévi-Provençal, "Un nouveau texte d'histoire mérinide : le Musnad d'Ibn Marzuk", *Hespéris*, t V, 1925, p. 53 note 3.

قسنطينة[644]، وبالمقام ببسكرة لمحاولة تلك الجهات؛ فأقمنا بها، ولم نزل في تلك النواحي على طاعته. ثم ورد علي كتابه أن حاول خروج أولاده إلى المغرب، وأن أتوجه صحبتهم إلى المغرب، وأحاول رجوع ولده، السلطان أبي عنان، إلى طاعته، مع والدته المرحومة، شمس الضحى.

فتوجهت إلى المغرب، فتوفيت والدة السلطان أبي عنان بتلمسان، وقدمت على السلطان أبي عنان، رحمه الله، فأكرم مثواي، وحاول جلوسي عنده، فلم يمكنني ذلك، لكوني فارقت والده على أن أعود إليه، ولم أجد سببا لمحاولة رجوعه إلى طاعته. فلما وصلت تلمسان، رغب مني سلطانها أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، وأخوه، أبو ثابت[645]، محاولة الصلح مع السلطان أبي الحسن؛ فأقمت بتلمسان، ووجهت له، فجاء من تونس إلى الجزائر عازماً على هذا الصلح، فسعى في نقضه وفي إذايتي، من باء بإثمه[646]، فثقفوني، فأقمت في ثقافهم وسجنهم تسعة أشهر، وكابدت ما يعظم الله أجره، مما هو مشهور، وبقي أهلي مدة يعتقدون وفاتي[647]، ثم أخرجوني واستعطفوني، فامتنعت من المقام بتلمسان، ورحلت إلى الأندلس، فقدمت على مالقة، فعرف

---

(644) خاطب السلطان أبو الحسن ابن مرزوق بهذا الصدد قائلا : "اقتضى نظرنا أن تتوجه صحبة هؤلاء ليكون حدك بسكرة، فتحاول مع ابن مزني ويعقوب خروج أولادي من قسنطينة" (**المسند**، 497).

(645) حكم من سنة 749 هـ/1348 م إلى سنة 755 هـ/1352 م (التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدر والعقيان...)**، ص 150-156.

(646) يفصح ابن مرزوق عن أسباب فشل محاولة توسطه قائلا : "قدمت تلمسان فحاولت مع ابن أجانا انقياد بني عبد الواد له [السلطان أبي عنان]، فكتبوا وكتبت، ووجهت أحد أهل العباد ويعرف بعلي بن محمد إلى تونس، فوافى وصول مولانا للجزائر، فدخل إليه بالكتب فسر، رضي الله عنه، وكتب لي أبلغ كتب، ولم يكتب لبني عبد الوادي فلما وصل كتبي دون كتبهم اتهموني وسعى بي من سعى ممن أخذ الله منه الحق" (**المسند**، 497).

(647) يصف ابن الخطيب هذه المرحلة الحرجة من سجن ابن مرزوق قائلا : "وأسكن قرارة مُطْبق عميق القعر مقفل المسلك حريز القفل، ثاني اثنين... ولأيام قتل ثانيه ذبحا بمقربة من شفا تلك الركية، وانقطع أثره، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه، ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سلفه في خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة فنجا ولا تسل كيف" (**نفح الطيب**، 369/5).

بي سلطانها، أبو الحجاج[648]، فبعث لي إلى حضرته، وأنزلني في الموضع الذي كان أنزلني فيه حين قدمت عليه رسولا، وقلدوني خطابة جامع الحمراء، دار ملكه، وجامع غرناطة[649]، أتناوب في الجامع الحمراء مع قاضي الجماعة، أبي القاسم الشريف[650]، وفي البلد معه، ومع اللوشي[651]، والبيري[652]، ثلاثة أعوام، تنقص بضع أيام.

ورحلت معه إلى مالقة، فخطبت في جامعها، ثم قدمت على فاس باستدعاء السلطان المرحوم، أبي عنان[653]، المرة بعد المرة، فأكرمني، ولازمت حضرته. ولما بلغه الخبر باستيلاء النصارى على مدينة اطرابلس، وعزم على افتكاكها بماله، بعثني إليها بخمسة وأربعين ألفاً من الذهب[654]، ووافقني صاحبنا الحاج أبو

(648) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر، السلطان النصري، أبو الحجاج. تولى الملك بعد أخيه محمد بن اسماعيل يوم 13 ذي الحجة عام 734 هـ وتوفي سنة يوم عيد الفطر من عام 755 هـ مقتولا بالمسجد (ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، بيروت، ط 2، 1978، 102-110).

(649) تقلد الخطبة بجامع غرناطة في 6 صفر عام 753 هـ (**الإحاطة**، 104/3).

(650) أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحَسَني، السبتي النشأة. (أبو القاسم الشريف الغرناطي). القاضي الأديب. ولي عدة مناصب في دولة بني نصر مثل كتابة الإنشاء وتولى خطة القضاء والخطابة. له جملة تصانيف منها "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة". توفي بغرناطة وهو على قضائها سنة 760 أو 761 هـ/1359م (الإحاطة، 181/2-186؛ **نثير فرائد الجمان**، 231 ؛ **الديباج**، 268/267/2 ؛ **نفح الطيب**، 242/6 ؛ **أزهار الرياض**، 149/2 -161 ؛ **جذوة الاقتباس**، 306 ؛ **المرقبة العليا**، 171-177 ؛ وانظر د. محمد الحجوي، **أبو القاسم الشريف السبتي: حياته وآثاره الأدبية اللغوية والبلاغية**، القنيطرة، 1996.

(651) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمد اليحصبي، عرف باللوشي. الشيخ الفقيه الخطيب البليغ المقرىء المحدث الراوية. ولد أواخر سنة 692 هـ. خطيب المسجد الأعظم من غرناطة لأول الدولة النصرية (**فهرسة أبي زكرياء يحيى بن أحمد السراج الرندي الفاسي** (ت 805هـ)، مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم 758)مصورة د. عبد الله المرابط الترغي)، ورقة 119-121؛ **الإحاطة نصوص جديدة**، 90 ؛ ابن الخطيب، **أوصاف الناس**، 59-61).

(652) لعله محمد بن عبد العزيز الغساني الألبيري. "مفتي البشارة وعليه كانت تدور أحكامها، وكان صاحب صلاة غرناطة ومن الخطباء البلغاء" (**الإحاطة، نصوص جديدة**، تحقيق عبد السلام شقور، ص 31).

(653) استدعاه السلطان أبي عنان سنة 754 هـ/1353 م.

(654) تعرضت مدينة طرابلس للاحتلال الجنوي (أو القطلاني) عام 755 هـ/1354م واستباحها النصارى وعاثوا فيها سلبا ونهبا ، وتوسط أبو العباس أحمد بن مكي صاحب قابس لافتدائها من المغيرين. وقد طالبه المحتلون بتقديم مبلغ خمسين ألفا من الذهب العين. وحتى لا يترك=

عبد الله ابن سيد[655] الناس[656]، فوصلت إلى مدينة قابس، ووصل المال إلى يد الفقيه مروان بن مكي[657]، متولي افتكاكها، وأقمت بقابس وبلاد الجريد شهراً، ثم رحلت صحبة السلطان أبي عنان، رحمه الله تعالى، إلى قسنطينة، ووجهني منها إلى تونس، وأمرني فيها بمحاولات[658]، أنتج بعضها، وخاب بعضها؛ فوجد الحسدة سببا لما كانوا عاملين عليه من الطعن في جهتي.

فلما عدت إلى تونس على الوجه المعروف، أدركني خدامه على مرحلة من تلمسان[659]، فثقفوني، ووصلت إلى حضرته، فحضرت بين يديه، فقابلني بالإذاية من لم يبق الله فيه حقاً، وهم جماعة بادٍ أكثرهم هلكى، فظهر الحق وزهق الباطل.

وبقيت في ثقافه[660]، إلى أن رضي، وقابل بالجميل وعزم عليه، فاخترمته المنية، واستقل ولده السعيد[661]، فبعثني الوزير القائم بأمره، أبو علي الحسن بن

= المدينة عرضة للاحتلال فكر في فتح اكتتاب لدى أهل قابس والحامة وبلاد الجريد لجمع المبلغ المطلوب لإخلاء طرابلس. لكنه عجز عن تحصيل المبلغ فاستنجد بالسلطان المغربي أبي عنان الذي لم يتردد في مده بالأموال اللازمة لافتكاك المدينة (ابن خلدون، **العبر**، 6/468-469 ؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، 1/201 ؛ الزركشي، **تاريخ الدولتين**، 192-193 ؛ ابن الشماع، **الأدلة البينة**، ص 102-103. Mas Latrie, Relations et commerce, p. 384-386, 407, 411).

(655) أ : سيدي.

(656) لعله الحاج أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن سيد الناس الذي ذكره ابن مرزوق في **المسند**، ص 255، 454.

(657) أمير جربة، ولاه السطان أبي الحسن عليها سنة 788 هـ (ابن خلدون، **العبر**، 6/449).

(658) لعله يشير إلى المهمة التي أوكلت إليه حينما سُفِّر إلى تونس ليخطب إحدى بنات السلطان أبي يحيى الحفصي (ت.747 هـ/1346 م) للسلطان أبي عنان. لكن ابن مرزوق لم يوفق في مهمته، واتهم بالتماهي مع الرفض التونسي. (**المسند**، 27) "ردّت ابنة السلطان أبي يحيى تلك الخطبة واختفت. ووشي إلى السلطان أبي عنان أنه كان مطلعا عى مكانها" (**العبر**، 7/474 ؛ **البستان**، 185؛ ويورد الزركشي حديثا طريفا دار بين السلطان أبي عنان وابن مرزوق، إذ خاطب السلطان ابن مرزوق معاتبا : "لِمَ لمْ تضع اليد فيها حين مشيت تخطبها لي؟ فقال له : ابنة ملك يخطبها سلطان! كيف أضع يدي فيه؟. فأبقاه في الثقاف بسبب ذلك ستة أشهر" (**تاريخ الدولتين**، 198).

(659) يوضح ابن خلدون أن أوامر السلطان أبي عنان أعطيت باعتقال ابن مرزوق "وخرج لذلك يحيى بن شعيب من مقدمي الجنادرة ببابه، فلقيه بتاسالة، فقيده هناك وجاء به فأحضره السلطان وقرعه، ثم حبسه مدة، وأطلقه بين يدي مهلكه" (**العبر**، 7/474).

(660) لم يطلق سراح ابن مرزوق إلا قبيل وفاة أبي عنان (28 ذو الحجة 759 هـ/5 دجمبر 1358م).

(661) أبو بكر السعيد بن أبي عنان. بويع وأبوه مريض يوم الأربعاء 25 ذي الحجة عام 759 - وخُلع يوم الثلاثاء 12 شعبان سنة 760 هـ، وقتل غرقا في البحر، وله 10 سنين (**روضة النسرين**، 40؛ **النفحة النسرية**، 55 ؛ **العبر**، 7/286).

عمر[662] لمراكش لتوطين أمرها[663]، فبلغنا استيلاء أبي علي منصور بن سليمان بن منصور[664] على الملك، فقدمنا عليه، فحملني الخطابة[665]، ثم انتقض أمره، وورد السلطان أبو سالم[666]، رحمه الله تعالى، فعزمت على التوجه إلى الحجاز، فلم يدعني، وألزمني حضرته، إلى أن توفي، رحمه الله تعالى[667]. وكان الناس يظهرون لي جميل الود، ويبطن أكثرهم خلافه، ولشدة أتيه في صار كل من قال ضُرّا خُيب مطلبُه، ومن بقي على ما في ظنه[668] قال : هو سببه وأصله. فمضى هو بسبيله إلى رحمة الله، وبقيت غرضاً لجميع من نالته مضرته، فنالني، ولله الحمد، ما أنا بصدده، والله المحمود على كل حال، ومنه أسأل، جل وعلا، أن يعظم الأجر، ويجزل الذخر، ويمن بالخلاص، وأن يجزي على ما عود من الفرج القريب، والسلامة، وكف الأيدي العادية، والأمم الباغية، وأخذ الحق ممن بغي، وخاتمة الخير والانقطاع إلى الله عز وجل، في بقية العمر، ودوام الصون والستر،

---

(662) هو الوزير أبو علي الحسن بن عمر الفدودي، خانق السلطان أبي عنان والمستبد على السلطان السعيد (**العبر**، 7/354-255).

(663) يشير هنا إلى ما قام به الوزير الحسن بن عمر المستبد على السلطان السعيد، حينما بعث يبحث عن أبناء السلطان أبي عنان الأصاغر، لاستقدامهم إلى فاس، إلا أن الأمير محمد المعتمد الذي كان بمراكش امتنع، وكان بها في كفالة عامر بن محمد الهنتاتي، وخرج به من مراكش إلى معقله من جبل هنتاتة، وجهز الوزير العساكر لمحاربته" (**العبر**، 7/355-356).

(664) هو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق المريني إبن أخ السلطان أبي الحسن. ثار على السلطان أبي سعيد بدعم من شيوخ القبائل المرينية وخاصتها وأقبلوا به إلى بمدينة فاس "وهو رجل خير قد اقتحم الشيخوخة". والتفت عليه قبائل غمارة ودخلت في أمره أصيلا وطنجة وسبتة. وسرعان ما انفضوا من حوله، وفر بنفسه إلى جبال بادس. ولما استولى على السلطان المريني أبو سالم إبراهيم ابن الحسن على الملك، سُلم منصور بن سليمان إليه مع ولده، فقتلهما السلطان صبرا. (**العبر**، 7/359-360، 361 ؛ ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**،117-118).

(665) أ: الخطاية.

(666) السلطان إبراهيم بن أبي الحسن. يكنى أبا سالم. أبوه السلطان أبو الحسن الملك الكبير، وأخوه أبو عنان. بويع يوم الجمعة منتصف شعبان من عام 760 هـ/1359/م وقتل يوم الخميس 21 ذي القعدة سنة 762 هـ/1361 م، وله 28 سنة (**روضة النسرين**، 41 ؛ **الإحاطة**، 1/303-310؛ **النفحة النسرية**، 56-58 ؛ **النجوم الزاهرة**، 11/11 ؛ **العبر**، 7/402-416؛ **جذوة الاقتباس**، 1/ 83؛ **الاستقصا**، ج 4/7-40).

(667) ساقطة من أ : وقد اغتيل السلطان أبو سالم يوم الخميس 21 ذي القعدة 762 هـ/23 شتنبر 1361م على يد جندي نصراني بتحريض من الوزير عمر بن عبد الله الياباني (**روضة النسرين**، 41).

(668) في النسختين : بطنه.

والانتقال إلى حرم الله، وحرم الرسول، صلى الله عليه وسلم، والوفاة في أحدهما، بفضل باسم الله الرحمان الرحيم، وحرمة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وبركة الأولياء، ومن اشتمل عليه هذا المجموع منهم؛ وليكن هذا آخره، فقد اشغلنا عن استيفاء الغرض ما دهيت به من الكرب المتصل، دفعه الله، والحمد لله، وسلام على عباده، وذلك في أوائل ثلاث وستين وسبعمائة[669].

(669) الموافق لشهر نوفمبر 1361 م.

ملحق من النسخة ب

بسم الله الرحمان الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، محمد وآله وسلم.

يقول كاتبه لنفسه عبيد الله، أحمد، بن عبد الرحمن، التجاني[670]، لطف الله به : وجدت معلقا بآخر هذا الديوان المبارك، ما نصه، بعد الحمد لله، والسلام على محمد وآله، وسلم :

مؤلف هذا المجموع المبارك، خطيب الخطباء، محدث وقته، الإمام الحافظ، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد، بن أحمد، ابن مرزوق، الخطيب، رضي الله عنه، له تصانيف عديدة، منها :

= شرح الأحكام، لعبد الحق[671]. ما رأيت مثله في التحصيل والنقل والفائدة، نفع الله بذلك.

ومنها : التعليق على صحيح البخاري، لم أره، وذكره هو في بعض تواليفه.

ومنها شرح الشفا، المسمى ببوح الخفا. رأيت السفر الأول منه، وما أبدعه، والله يجمع باقيه !

ومنها : شرح العمدة[672]، وهو مشهور.

ومنها : الأربعين في فضل الصلاة على سيدنا محمد، والأربعين في فضل العلم، والأربعين عن الصحاح، أملاها بعد صلاة الجمعة، وقبل العصر منها، وغير ذلك.

---

(670) سيسميه بعد حين : التجيني

(671) عبد الحق بن عبد الرحمان الأزدي الإشبيلي المتوفى سنة 582 هـ له الأحكام الكبرى في الحديث والأحكام الصغرى. انظر : **عنوان الدراية**، ص 73-74.

(672) **تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 38 ق.

ومنها : رسالة البدر في ليلة القدر.

وجنى الجنتين في فضل الليلتين[673]، ليلة القدر وليلة المولد النبوي.

والمعجم في ذكر شيوخه.

وفهارس مطولة، ومختصرة.

والعجالة[674].

وخطب مرتبة على حروف المعجم[675].

وخطب كثيرة من غير التزام حروف المعجم.

وقصائد في مدح النبي، صلى الله عليه وسلم،

وقصائد في التوسل.

ونظم كثير، منه، القصيدة المسماة بالمنفرجة، وأولها :

اشتدي أزمة تنفرج لابد لضيقك من فرج
إن عسر مع الحرج أبشر باليسر وبالفرج

إلى آخرها، وهي مائة وثلاثون،

والقصيدة اللامية، وأولها :

إليك شكوت يا موالي الموالي ويا رب المعادي والموالي

وهي نحو من ثمانين،

والقصيدة النونية الحجازية، وأولها :

(673) مخطوط الخزانة العامة رقمه : ك 1228.

(674) لعل المقصود بها فهرسته **عجالة المستوفز**، مخطوط الخزانة الحسنية رقم 7579.

(675) مخطوط الخزانة الحسنية رقمه 4070 : وانظر :

Maria J. Viguera, «al Jutab al-diniyya li Ibn Marzuq», in, Festschift for Ihsan Abbas, Beirut, American University, 1981, 81-84.

هات الحديث عن قبا والمنحنا وعلل النفس بما قد أمكنا

وهي خمس وسبعون.

والقصيدة النونية أيضا الحجازية، وأولها :

رفقا بها يا حادي الركبان روح لطيف في جسيم فان

والقصيدة الحجازية أيضا، الدالية، وهي نحو من ثمانين، والقصائد المولديات.

والحجازيات، نفعه الله، ونفعنا به. والقصيدة التي مطلعها :

رفعت أموري لباري النسم وموجدنا بعد سبق العدم

نحو أربعين مشهورة البركة.

ومنها في الفقه : شرح ابن الحاجب الفرعي، ولم أره،

وكلامه في الوصية مع الغبريني، والرد عليه، والإنتصار لصاحبه، العلامة الشريف، والقاضي المقري، رحم الله الجميع، مما يكتب بماء الذهب، وهو مشهور.

والمسند الحسن.

ومصنفاته، رحمه الله، معدودة في إجازة الجد الأقرب، ذكرت بعضها هنا اختصارا، واقتصارا.

وأما حفيده، الإمام الأشهر الحافظ، الذي أنشأ خطبة هذا المجموع، فقد جمع وصنف وأفاد وأبدا، في كل فن من الفنون وأعاد، أذكر منها ما أمكن، على سبيل الإختصار[676] :

التفسير، رأيت منه، تفسير المائدة، ومريم. ما صنف مثله.

(676) انظر توشيح الديباج، ص 171-172.

والقراءات، له نظم فيها عجيب، وعقيدته مشهورة في البركة والعلم الكثير، والإختصار الغرير، شرحه للجامع الصحيح، المسمى بالمتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح، والوجه الصحيح، والخلق السميح، ما رأى الراؤون مثله، لو كمل، أربعة أسفار إلى أثناء الصلاة. وله عليه كلام كامل، في مناسبة تراجمه، وله أنوار الدراري، في مكررات البخاري.

وله في الحديث : الروضة، واختصارها الحديقة. وله النور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين، الحديث المشهور، المشكل، الذي أخرجه أبو نعيم الحافظ، في الحلية. جاء الشيخ في شرحه بما يبهر العقول.

ومصنفاته في الفقه، منها : روضة الأريب في شرح التهذيب، ومنها المنزع النبيل، شرح مختصر الشيخ خليل[677]، وهو مشهور، كتب من أوله إلى أثناء الصلاة؛ ومن الأقضية إلى الختم، ولو كمل لما نظر في غيره، لكن الأمر لله من قبل ومن بعد.

ومنها، اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة[678]، والروض البهيج في مسائل الخليج، والذيل المومي في جواز النسخ في الكاغط الرومي، والنصح الخالص في مدعي رتبة الكمال للناقص، ومسائل فقهية، وشرح في الأصلين، كثيرا،

ومنها كلام على التسهيل، حسن، غاية، وشرح ألفية ابن مالك، وشرح شواهدها، واختصارها في نحو خمس مائة بيت ؛ ونظم تلخيص المفتاح، ونظم جمل الخونجي، وشرح الأصل له، مشهور، ونظمه في الفرائض، ونظمه في الوقت، وفهرسته، وشرحه للشقراطية، وشرحه للخزراجية، كل واحد منها في غاية التحقيق والحسن، وإظهار صدق المودة في شرح البردة[679]، ما صنف مثله، والوسط، مختصر منه والإستعاب لما في البردة من البديع والإعراب.

---

(677) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ق 265.

(678) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقمه : ك 429؛ نسخة أخرى : ك 2983.

(679) مخطوط الخزانة العامة، ك 1365.